# أقوالُ الشّيُوخ

# حكمُ آباء البَرّيَّة

**المقدّمة**

لا يختلف اثنان على أن الشرق الأدنى كان منبت الروحيات، ولا عجب، فمنه انطلقت ديانات التوحيد، وفي بلدانه ازدهرت طلائع الرهبانيات، وعلى يد علمائه القديسين حررت روائع الكتابات اللاهوتية والروحية. ومن هذه المؤلفات التي تفرّد بها شرقنا وكانت من بواكير النتاج الأدبي المسيحي، الكتابات البروفة بأقوال آباء الصحراء.

فإبان القرنين الميلاديين الرابع والخامس، هجر كثير من المسيحيين المصريين مدنهم إلى القفار، وحياة الرفاه إلى عيشة الشظف والتقشف، ردة فعل منهم على الترف السائد في المجتمع ومعه الاسترخاء الروحي والابتعاد عن الله. ولجأوا في رحيلهم هذا إلى براري الإسقيط وسيناء والنطرون وسواها، فبرز بينهم أناس تميزوا بالفضيلة والحكمة فتحلق حولهم أعداد غفيرة من التلاميذ.

وسرعان ما اضطرت تلك الجماعات إلى تنظيم نواتها وتريب شؤونها، لا سينما ليتاح لها التوفيق بين حياة العزلة وحياة الجماعة، وعيشة الصلاة وأساليب العمل لتأمين ضرورات العيش. فتوصل النسّاك الى حلول وسط بحيث كانوا يعيشون طوال الاسبوع في العزلة ويلتقون يوم الاحد لصلاة الجماعة والمشاركة الأخوية .

وكانوا يمضون نهارهم بين الصلاة التأملية والمطالعة الروحية والعمل اليدوي الخفيف، عمل يُتيح الترويح عب النفس من جهة، وتمكين المتعبّد من متابعة تأمله واتحاده بالله من جهة أخرى. ومن الأشغال التي راجت بينهم صنع السلال، فيبيعونها في السوق لتدرّ عليهم ما يأكلون به.

وكان المتوحد يتدرب على حياة النُسك برفقة شيخ متمرس يُشهد له بالقداسة والفطنة، فيتشبه به ويتعلم منه ويستشيره بخاصة لتمييز الأرواح التي تتجاذبه في عزلته. ومن هنا أهمية الأقوال التي كان المريدون يطلبونها لدى معلّميهم، فيصغون إليها بلهفة ويدوّنونها ويتداولونها، وتكون في غالب الأحيان مقتضبة لأن المعلم لا يحب الإكثار من الكلام ويؤثر

الصمت، والصمت أبلغ أحيانًا من المواعظ.

ومهما يكن ن فسرعان ما صُنفت تلك الأقوال ضمن مجاميع، بعضها رتب بحسب الموضوعات، وبعضها الآخر دُوِّن بحسب نسبته إلى أصحاب الأقوال.

وكانت تطالع بكل احترام، طالعها أجيالٌ من الرهبان والمتصوفين والساعين في دروب حياة القداسة.

وكان مؤلفو الكتب الروحية اللاحقون يغرفون من مَعينها لما فيها من خبرة وعمق وشمول، وما زلنا نذكر بكثير من الحنين مطالعاتنا، أيام بداياتنا الرهبانية، في كتاب الكمال المسيحي لمؤلفه الأب ألفونس رودريكس اليسوعي، وقد حوت كل صفحة من صفحاته بعض تلك الأقوال وأخبار أصحابها.

ولعل كلمات هؤلاء الشيوخ وأعمالهم تبدو غريبة، أو أقله بعيدة عن واقعنا المعاصر. إلا أنها في الحقيقة عميقة الغور ولا تخلو من الطرافة. وعلى كل حال، راعينا في اقتباسها جانب شعور إنسان اليوم، فضربنا صفحاً عن كثير مما بدا مستغرباً وإن كان مستظرفاً، ولكننا لم نتوان عن الاحتفاظ ببعض آخر مما اخشوشنت ملامحه لأن المهم ليس القشرة والمبنى بقدر ما هو اللب والمغزى.

ومهما يكن من مظهر هذه الأقوال أو مخبرها، فهي تساعدنا لنتعرف أدباً روحيّاً عَجَمَه الدهر، ولنستفيد منها للإنصات إلى المعلم الأسمى الذ ي ترك الشيوخ ومريدوهم كل شيء ليلحقوا به ويستمعوا إلى كلمته يَهمسها الروح. بأّنات لا تُوصف ولا شكَّ في أن من أراد جني ثمار تلك الأقوال، توجب عليه مطالعتها بتمهل وتذوّق، يتنشق عبيرها لأنها بتنوعها

وجمالها كالزهرات، ويرتشف رحيقها كما تفعل النحلات.

آثرنا عرض ((الأقوال)) لا بحسب مواضيعها بل بحسب نسبتها إلى أصحابها، فذكرنا هؤلاء مرتَّبين ترتيباً أبجدياً، والهدف من اختيارنا النهجَ الثاني رغبتنا في عدم أسر القارئ ضمن نطاق فكرة محددة، تاركين له أن

يتنقل غير مقيد، على هواه.

ك. ح.

بيروت في ٤-٤-١٩٩٦

**الأنبا إبراهِيم**

روي أن أحد الشيوخ أمضى خمسين سنة لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا بلهفة. وكان إلى ذلك يقول: قضيتُ على كل ما فيّ من زنّى وحرص ومجد باطل. فلما سمع الأنبا إبراهيم أته تفوه بهذا الكلام، جاء إليه وقال له: هل أنت الذي قال هذا المقال؟ أجاب: نعم. فقال له الأنبا إبراهيم: هبْ أنك تعود إلى صومعتك فتجد امرأةً على سريرك. فهل يمكنك ساعة ئذ أن تظن أنها ليست امرأة؟ أجاب: لا، ولكني سأقاوم فكرتي لئلا أمسّها. فقال له الأنبا إبراهيم: ألا ترى؟ إنك لم تقض على تلك الشهوة، بل هي حية فيك وإن مكبَّلة. ولكن هب مرة ثانيه أنك تتنزه وإذا بك ترى ذهباً وسط الحجارة والأصداف، فهل بإمكان عقلك أ ن

يقيمها جميعاً بالقيمة نفسها؟ أجاب: لا، ولكني سأقاوم فكرتي لئلا ألتقط الذهب. فقال له الشيخ: ألا ترى؟ ما زالت تلك الشهوة حية فيك وإن مكبَّلة. وقال الأنبا إبراهيم مجدداً: هب أنك علمت بأن أحد إخوتك يحبك في حين يكرهك آخر ويقول فيك كلام السوء. فإن جاءا لزيارتك، هل تستقبلهما بالعاطفة نفسها؟ أجاب: لا، ولكني سأقاوم فكرتي لأكون لطيفاً مع الذي يكرهني على نحو ما أكون مع الذ ي يحبني. فقال له الأنبا إبراهيم: هكذا، فالشهوات لا نزال حية، إلاّ أنها مكبّلة يكبلها القديسون.

**الأنبا أرسانِيُوس**

١ - في نات يوم هاجمت الشياطين الأنبا أرسانيوس وهو داخل صومعته فأرهقته. وسمعه خدّامُه إذ كانوا في طريقهم إليه وقد بلغهم صوتُه إلى الخارج وهو يصرخ مستغيثاً بالله يقول: إلهي، لا تتخلَّ عني. لم أفعل شيئاً صالحاً أمامك، ولكن هبني، بحسب صلاحك وحنانك، أن أبدأ الآن.

٢ -سأل أحدهم أرسانيوس الطوباوي قال: كيف تفسر أتنا، مع كل ما لنا من التربية والعلم، لا ننال شيئاً، في حين يكتسب هؤلاء المصريون الأفظاظ الكثير الكثير من الفضائل؟ فأجابه الأنبا أرسانيوس: لا نستفيد شيئا من تربيتنا الدنيوية، وهؤلاء المصريون الأفظاظ يكتسبون تلك الفضائل بجهدهم وكدهم.

3- قال الأنبا أرسانيوس: إن بحثنا عن الله تجلى لنا، وإن استبقيناه بقي الى جانبنا.

4 -من اقوال الأنبا أرسانيوس أن ساعةً واحدة ض النوم تكفي الراهب، إن كان مجاهداً.

٥ - روى الأنبا دانيال قال: طوال السنين التي أمضاها معنا، كنا نهيئ له للعام كلِّه سلة واحدة من الخبز، ولما كنا نذهب لزيارته، نأكل من هذا الخبز.

٦ – وروى أيضاً أنّه إذا ما علِم الأنبا أرسانيوس بأنَّ جميع أصناف الفاكهة قد أينعت، كان يقول من تلقاء نفسه: هاتوا لي منها. وكان يذوق مرةً واحدةً فقط من جميع الأصناف، بقدرٍ صفيرٍ جداً، وهو يؤدي الشكر لله.

٧ - حد ث مرة في برية الإسقيط أن الأنبا أرسانيوس مرض، فاحتاج إلى بعض الخبز، ولمّا لم يكن لديه ما يشتري به، جاءه صدقةً على يد بعضهم. فقال: أشكرك، ربّي، لأنك حسبتني أهلاً لاقتبال الصدقة باسمك.

8- روي أنّ صومعته كانت معزولة على بعد نحو اثنين وثلاثين ميلاً ، وأنه قلما كان يخرج منها، إذ كان سواه يقوم بخدمته. ولمّا اجتيحت الإسقيط، خرج باكيا وهو يقول: لقد فقد العالم روما، وفقد الرهبان الإسقيط.

9-سأل الأنبا مرقس الأنبا أرسانيوس: هل يصلح أن لا يكون للراهب في صومعته شيء من الرخاء ؟ فإني أعرف أخاً كان عنده بعض الخضار، ولكنه اقتلعها. فأجابه الأنبا أرسانيوس: لعل ذلك يصلح، ولكن بحسب مقدرة المرء. فإن كان لا يقوى على مثل ذلك العمل، سرعان ما سيزرع غيرها.

١٠- روى الأنبا دانيال في شأن الأنبا أرسانيوس أن موظفا رفيعا جاءه يوماً يحمل إليه وصية أحد أعيان الدولة من أنسبائه ، وقد خلف له إرثاً ضخما. فأخذ الشيخ الوثيقة وهم بتمزيقها . أمّا الموظف فخز عند قدميه وقال: أستحلفك، لا تمزقها وإلا قطعوا رأسي. فقال له الأنبا أرسانيوس: أنا مُتُّ قبل هذا العظيم الذي مات الآن. وأعاد إليه الوصية ولم يقبل شيئاً.

١١- ومن أخباره أيقا أته في مساء السبت، ساعة يهم يولم الأحد بالتألق ، كان يدير ظهره للشمس ويرفع يديه إلى السماء يصلي حتى تعون الشمس وتضيء وجهه . عندئذ كان يجلس.

١٢- حدثنا الأنبا دانيال قال: أخبرنا الأنبا أرسانيوس، وكأنه يتكلم على سواه، في حين كان الخبر يعنيه، أته فيما كان أ حد الشيوخ جالسا في صومعته، سمع صوتاً يقول له: تعال لأريك أعمال البشر. فنهض وخرج. وقاده الصوت إلى بعض الأماكن وأراه حبشياً يقطع الخشب حتى كوّم منه كومة كبيرة. وحاول أن يحمله، ولكنه باء بالإخفاق، وبدلاً من أن يقلّل من حجم الكومة راح يقطع المزيد من الحطب ويزيده على الكومة وظلَّ على هذا المنوال وقتاً طويلاً. وتابع الشيخ تقدمه فأراه الهاتفُ رجلاً واقفاً على شاطئ بحيرة يغرف منها ماء ويجعله في إناء مثقوب، فيعود الماء إلى البحيرة. ثم قال الصوت للشيخ: تعال وانظر شيئا آخر. فرأى هيكلاً وفارسين يسيران جنبا إلى جنب حاملين بالعرض قطعة من الخشب. وكانا يريدان ولوجَ باب المعبد ولا يستطيعان لاعتراض الخشبة، ولم يُرد أحدهما أن يتنازل للآخر فيتاح له حمل الخشبة بالطول. لذا بقيا خارج الباب. فقال الصوت للشيخ: هذان الرجلان يحملان نير البرّ بكبرياء، ولا يتضعا ن لإصلاح الذات والسير في طريق المسيح الوضيعة، لذا فإنهما يظلان خارج ملكوت الله. والرجل الذي يقطع الحطب هو الذي يعيش في جم من الخطايا، وبدلا من أن يتوب، فهو يضيف إلى خطاياه المزيد من الأخطاء.

أما الذي يغرف الماء فهو الإنسان الذي يقوم ببعض الأعمال الصالحة، إلّا أنه يخلطها بالطالحة فيشوهها. لذا يجب على كل أمرئ أن يفطن إلى ما يقوم به من أعمال لئلا يسعى باطلا.

١٣ -قيل إنه، طوال حياته، جعل منديلاً على صدره لدى جلوسه للعمل، بسبب الدموع المنهمرة من عينيه ٠ ولّما عَلِمَ الأنبا بيمين بوفاته قال وهو يبكي: الطوبى ل ك يا أنبا أرسانيوس لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم. فمن لا يبكي على نفسه في هذه الدنيا سوف يبكي في الآخرة للأبد. لذلك لا بد من البكاء، سواء هنا طوعاً، أو هناك تحت وطأة الألم.

١٤ - قصد بعض الشيوخ في أحد الأيام الأنبا أرسانيوس وألحوا في طلب ملاقاته. ففتح لهم بابه. وسألوه أن يقول لهم كلمةً في الذين يعيشون مختلين لا يقابلون أحداً. فقال لهم الشيخ: ما دامت الفتاة في بيت أبيها، يكثر الذين يريدون الزواج منها، ولكن إذا ما تزوجت لا تعود مرضيّة لدى الجميع، بعضهم يزدريها وبعضهم يطريها وليس لها على كل حال مكانتها السابقة لّما كانت تعيش مستترة ٠ وهذا هو شأن النفس: فما إن تظهر للجميع حتى لا تعود تقوى على إرضاء الجميع.

**الأنبا إسحق الطِيبيّ**

1- حلّ الأنبا إسحق الطِيبيّ ذات يوم في جماعة ، وأبصر أحد الإخوة يقترف خطيئة، فدانه. ولما رجع إلى البرّية وجد ملاكا جاء من لدن الرب قائما أمام باب صومعته وقال له: لا أدعك تدخل. ولكنّ الأنبا أل قال: ماذا في الأمر؟ فأجابه الملاك: لقد أرسلني الله لأسألك أين تريد أ ن يطرح الأخ المذنب الذي دنتَه. فتاب لتوه وقال: إني خطئت سامحني. فقال له الملاك: قُم، لقد غفر الله لك، ولكن من الآن فصاعدإ إياك أن تدين أحداً قبل أن يقوم الله بذلك.

٢ - روي عن الأنبا إسحق أنه كان، إذا ما تفرقت جماعة الإخوة بعد القداس، يسارع إلى صومعته هارباً كمن يحتمي من النار. وفي نات يوم أقعده المرض، فجاء الإخوة يفتقدونه، وجلسوا إلى جانبه وسألوه: يا أنبا إسحق، لماذا تتحاشى الإخوة بعد خروجك من الاجتماع؟ قال لهم :لسك أتحاشى الإخوة، بل حيله الشياطين الخبيثة. ذلك بأن من يحمل سراجاً مضاءٌ ويتأخر خارجاً في الهواء الطلق، يدع سراجه ينطفئ بسبب الريح. ونحن ك ذلك، عندما نستنير في القداس، فإذا ما تأخرنا خار ج صومعتنا تركنا روحنا فريسة الظلام. تلكم كانت طريقة عيشة الأنبا القديس.

**الأنبا إسْخِيرِيُون**

١- كان الآباء القديسون يتنبؤون في شأن الجيل الأخير، فقالوا: ماذا فعلنا، نحن؟ فأجاب أحدهم، وهو الأنبا العظيم إسْخِيرِيُون: نحن، لقد أتممنا وصايا الله. أجاب الآخرون: والذين يأتون بعدنا، ماذا يفعلون؟ قال: يحاولون الوصول إلى نصف أعمالنا. قالوا: والذين يأتون بعدهم، ماذا من أمرهم ؟ قال: لما كان أبناء ذاك الجيل لا يقومون بأي عمل، فستحل عليهم التجربة، والذين يوجدون من المختبرين يكونون أعظم منا ومن آبائنا .

**الأب أَغاثُون**

١ - رؤي عن الأنبا أغاثون أن أناساً أتوه بعد أن بلغهم ما كان عليه من القدرة الفائقة على التمييز. فأرادوا أن يمتحنوه ويروا إن كان يستسلم للغضب، فقالوا له: ((هل أنت أغاثون الذي يُقال عنه إنه زانٍ ومتكبر؟، أجاب: ((أجل، هذا عين الحق)). فأردفوا: ((هل أنت أغاثون الذي لا ينفك يتفوه بالحماقات ويغتاب الآخرين؟))، أجاب: أنا هو، فقالوا أيضاً: ((هل أنت أغاثون الهرطوقيّ؟)) فما كان منه إلاّ أن أجاب: ((لستُ بهرطوقيّ)).

عندئذ سألوه: ((قل لنا لماذا قبلت كلَّ ما انهلنا به عليك ولكنك أبيت النعتَ الأخير))، أجاب: الشكاوى الأولى أوجهها إلى ذاتي، لأن في ذلك فائد ة لنفسي. أما الهرطقة فهي الانفصال عن الله، ولا أريد الانفصال عن الله، فلما سمعوا هذا الكلام عجبوا لحسن تمييزه وانصرفوا حامدين.

٢ – روي عن الأنبا أغاثون أنه أمضى وقتا طويلا يبني صومعة مع تلاميذه .فلما انتهت الصومعة جاؤوا وسكنوها . ولكنه منذ الأسبوع الأول رأى أنّ هناك أمراً يشتم منه ما لا تحمد عقباه. فقال لتلاميذه: قوموا نرحل من هنا. فاضطربوا شديد الاضطراب وأجابوه: إن كنت تنوي الرحيل وتصر عليه هذا الإصرار، فلماذا عانيت وشقوت في بناء الصومعة؟ ولسوف يتشكك الناس بسببنا ويقولون: ها إنهم يرحلون مرة أخرى، فيا لهم من مترددين! فلمّا رآهم على هذه الحال وأيقن ما كان من عزيمتهم المثبطة، قال لهم: إن تشكك بعضهم، فسواهم، على العكس، سوف يجدون في عملنا شهادةً حسنة ويقولون: طوبى لأولئك الذين يهاجرون في سبيل الله ولا يقيمون وزناً لسواه. ومع ذلك، فمن أراد المجيء فليأت، أما أنا فإني ذاهب، عندئذ جثوا معفّرين جباههم في التراب وتضرعوا إليه ليسمح لهم بالرحيل معه.

٣- وروي عنه أيضا أنه غالبا ما كان يبذل سُكناه ولا يحمل معه إلا سكّينه لصنع السلال القصب.

٤– سئل الأنبا أغاثون: أي الأمرين أفضل: إيلام الجسد أم التيقظ الباطن؟ فأجاب: يشبه المرء الشجرة، وإيلام الجسد هو ورقها، والتيقظ الباطن هو ثمرها. وحيث إنه ورد في الكتاب المقدس أن كل شجرة لا تثمر ثمرا صالحا تقطع وتلقى في النار، فمن الواضح أن جُلّ اهتمامنا

ينصب على الثمر، أي على صيانة الفكر، إلا أن هذا الثمر بحاجة إلى حماية الورق وزينته وهما إيلام الجسد.

٥- وسأله الإخوة أيضا: أبانا، ما هي الفضيلة التي تستدعي أعظم الجهود؟ فأجابهم: سامحوني، فإني أعتقد أنه ما من جهد أعظم من الصلاة إلى الله. ذلك بأنه في كل مرة يريد المرء الصلاة، يسعى أعداؤه إلى منعه، لأنهم يعلمون أنهم لن يعيقوا مسيرته إلا بثنيه عن الصلاة. فمهما سمَت أعمال البرّ التي ينصرف إليها الإنسان، فإنه، إن واظب عليها، سينال الراحة. أما في ما يخصّ الصلاة، فعليه أن يناضل حتى الرمق الأخير

٦ - كان أغاثون سائرا مع تلاميذه، فوجد أحدهم في الطريق حبةً من الحمص، فقال للشيخ: أبتِ، أتسمح لي بأخذها؟ فنظر إليه الشيخ متعجباً وقال له: هل أ نت الذي وضعها هنا؟ قال: لا. قال: فكيف إذا تريد أخذ ما لم تصنع؟

٧- سأل أحد الإخوة الشيخَ، قال: تبلغتُ أمراً، ولكن للذهاب إلى مكانٍ عليّ فيه أن أجاهد. فبسبب الأمر، أريد الذهاب، إلاّ أني أخاف الجهاد. فقال له الشيخ: لو كان هذا من شأن أغاثون، لأتم الأمر وفاز في الجهاد.

٨- قيل عن الأنبا أغاثون إنه عاش ثلاث سنوات وفي فمه حصاة إلى أن حفظ الصمت.

٩ - وقال هو عينه: من يستسلم للغضب لا يرضى عنه الله حتى لو أقام الأموات.

١٠- فيما كان بعض الإخوة يتحادثون في شأن المحبة، قال لهم الأنبا يوسف: هل نعرف حقا ما هي المحبة؟ وأخبرهم أن أحد الإخوة جاء يزور الأنبا أغاثون، فلما أنهى زيارته لم يدعه الشيخ يذهب بدون أن يأخذ معه سكّينةٌ صغيرة كانت عنده.

١١- روي عن الأنبا أغاثون أنه كان يجتهد في تتميم جميع الوصايا. فإن سافر في البحر، كان أول من وضع يده على المجذاف، وإن جاء بعضُ الإخوة يزورونه كان يهيئ المائدة بيده بعد الصلاة بدون إبطاء: ذلك بأنه كان مملوءاً حبا لله. ولما أشرف على الموت بقي ثلاثة أقام وعيناه مفتوحتان جامدتان، فهزّه الإخوة وقالوا له: يا أنبا أغاثون، أين أنت؟ أجابهم: أنا

قائم أمام محكمة الله قالوا: هل تخاف أنت أيضاً يا أبانا؟ قال :حتى الساعة عملت بكل قواي لحفظ وصايا الله، إلا أني بشر، فكيف أعرف أن أعمالي مرضية في عيني الله؟ قال له الإخوة: ألا تظن أن أعمالك كانت على ما يريده الله؟ أجاب: لن أكون على ثقةٍ إلا ساعة

ألتقي الله. فحكم الله شيء وحكم البشر شيء آخر. وإذ أرادوا أن يطرحوا عليه المزيد من الأسئلة، قال لهم: أحسنوا إليّ وكفوا عن مخاطبتي، لأته لم يعد لدي متسع من الوقت. ومات في غمرة من الفرح، ورأوه يرحل كما يرحل من يحيّي أعز أصدقائه. كان في كل شيء

يحافظ على أقصى ما يمكن من التيقظ ويقول: بدون درجةٍ كبيرة من التيقظ لا يتقدم المرء حتى في فضيلةٍ واحدة.

**الاب إفاغريوس**

قال الأنبا إفاغريوس: اجلس في صومعتك وركز أفكارك. تذكر يوم الممات ٠ تأمل ما سيكون موت جسدك، تحسر، أ شجب أباطيل الدنيا لتستطيع البقاء دائماً في السلام الذي أردته لنفسك، دونما فشل. وتذكر أيضاً من هم الآن في الجحيم: فكّر في أي حال تحيا النفوس هناك. في أي صمت مرهق، في أي نحيب مرير، في أي خوف، في أي صراع، في أي انتظار. فكر في آلامهم التي لا نهاية لها، في الدموع التي تذرفها مدى الآباد. ولكن احفظ أيضا ذكر يوم القيامة والمثول أمام الله. تخيل تلك الدينونة الرهيبة المريعة. انتبه إلى النصيب المعد للخطأة، إلى خزيهم وهم في حضرة الله والملائكة ورؤساء الملائكة وجميع البشر، إلى العذابات: من النار الأبدية، إلى الدود بلا هوادة، إلى الديجور، إلى صريف الأسنان والرعب على أنواعه والعذابات. وفكر أيضا في الخيرات المعدة للأبرار: مؤالفة الله الآب ومسيحه، صحبة الملائكة ورؤساء الملائكة وجميع جمهور القديسين، ملكوت السماوات وهدايا ذلك الملكوت من فرح وسعادة .أخي فيك ذكرى تينِك الحقيقتين: أذرف الدموع على دينونة الحط١أة وتحسَّر خشية أن تنال منك تلك العذابات، ولكن افرح وابتهج للنصيب المعد للأبرار. اجتهد في الحصول على لذات هؤلاء، والابتعاد عن نصيب

أولئك. وسواء كنت في داخل صومعتك أو في خارجها، فاسهر لئلاّ يغيب عنك ذكرُ تلك الأمور، فتستطع إذ ذاك، أقله بفضل ذلك التذكار، أن تهرب من الأفكار النجسة المؤذية.

## إفخارِستُس العلماني

تضرع اثنان من الإخوة إلى الله وسألاه أن يبني لهما إلى أي درجة وصلوا. فجاهما صوت يقول: في القرية الفلانة من قرى مصر ثمة علماني يدعى إفخارستس، واسم امرأته مريم، وإنكما لم تبلغا حتى الآن قدرهما فانطلق الشيخان وقصدا تلك القرية، واستعلما عن الرجل فوجدا صومعته وزوجته، وقالا للمرأة: أين زوجك؟ فأجابت: إنه راع يرعى النعاج

وأدخلتهما إلى صومعته. ولما حل المساء، عاد إفخارستس مع نعاجه، وإذ رأى الشيخين، هيأ لهما المائدة وأتى بماء ليغسل أرجلهما. أما الشيخان فقالا له: لن نأكل شيئا ما لم تبين لنا طريقة عيشك. فأجاب إفخارستس بتواضع: إني راع، وهذه امرأتي، إلا أن الشيخين ألحا في الطلب، وهو لا يزال يرفض أن يقول أكثر من ذلك. عندئذ قالا له: لقد أرسلنا الله إليك.

فما إن سمع إفخارستس هذا الكلام حتى تملكه الذعر وقال لهما: أنظرا إلى هذه النعاج. لقد ورثناها من والدينا، وإن ربحنا منها بعض الشيء بنعمته تعالى، فإننا نقسمه ثلاثة أقسام: واحد للفقراء، واحد للضيافة والثالث لحاجاتنا الشخصية. ومنذ أن تزوجت لم نقم أنا وزوجتي أي علاقة، فهي عذراء. وكل منا ينام من جهته. وفي الليل نرتدي المسوح، وفي النهار ثيابنا وحتى الساعة لم يدر بذلك أحدا ولما سمع الشيخان هذا الكلام، أخذ منهما العجب كل مأخذ، وانصرفا وهما يمجدان الله.

**الأنبا أَمُونا**

١- سأل أ حد الإخوة الأنبا أمُونا قال: أسمعني كلمةً منك فأجابه الشيخ: اذهب وطابق بين تفكيرك وتفكير رجال السوء القابعين في السجون، لأنهم لا ينفكون يسألون أين هو القاضي ومتى سيأتي، وانتظارهم إياه يملاهم حزنا. وهكذا على الراهب أن يجتهد دوما في توجيه

اللوم إلى نفسه. فيقول: الويل لي، كيف أقوم في حضرة الله الديان؟ ماذا أقول له للدفاع عن ذاتي؟ فإن سعيتَ جهدَك على هذا النحو استطعت أن تخلص.

٢- روى أ حد الآباء أته كان في الصوامع شيخ مجتهد يلبس حصيرة. فذهب إلى الأنبا أمونا، وما إن رآه القديس والحصيرة عليه حتى قال له :هذا لن يجديك نفعا. ثم قال الشيخ لأمونا: ثلاث أفكار تتجاذبني: إ ما أن أتيه في البراري، وإما أن أرحل إلى أرض غريبة حيث لا أ حد يعرفني، وإما أن أحبس نفسي في صومعةٍ لا التقي أ حداً ولا آكل إلا مرة كلَّ يومين. فقال له الأنبا أمونا: لا يحسن بك أن تقوم بأي من هذ ه المشروعات الثلاثة. بل الزم صومعتك وتناول قليلا من الطعام كل يوم واحفظ دائما في قلبك كلمة العشار. عندئذ باستطاعتك أن تخلص.

٣ - سألوا الأنبا أمونا يوما قالوا: ما هو الطريق الضيّق الصعب؟ أجاب: الطريق الضيق الصعب هو أن يضبط الإنسان أفكاره ويتجرّد، في سبيل الله، عن إرادته الخاصة. وهذا هو أيضا معنى الآية الإنجيلية: ها إننا تركنا كلّ شيءٍ لنتبعك.

**الأنبا انطونيوس**

١ - فيما كان الأنبا أنطونيوس القديس يقيم في البرية، اعتراه السأم واكتنف الظلام مجال أفكاره. فخاطب الله قال: ربي، أريد أن أخلص، إلاّ أن أفكاري لا تسمح لي بذلك. فماذا أفعل في كربتي، وكيف السبيل إلى الخلاص؟ وبعد قليل، نهض ليخرج، فرأى رجلا شبيها به جالساً يعمل، ثم ينهض من عمله للصلاة، ثم يعود إلى الجلوس ليجدل حبلاً، ثم ينهض مرة أخرى للصلاة. وكان هذا ملاكا من عند الرب أرسل إليه ليصلحه ويطمئنه. ثم سمع الملاك يقول له: افعل هكذا تخلص. فما إن سمع أنطونيوس هذا الكلام حتى شعر بكثير من الفرح ودبت فيه الشجاعة. وبفعله هذا تم له الخلاص.

٢ - فيما كان الأنبا أنطونيوس يسير أغوار أحكام الله، توجه إلى باريه بالسؤال قال: ربي، كيف يموت بعضهم وهم في زهرة العمر، في حين يصل سواهم إلى أقصى حدود الشيخوخة؟ لمَ هناك فقراء وأغنياء؟ كيف يُثري أناسٌ أشرار، في حين يعاني آخرون أبرار من العوز؟ وإذا بصوت يقول له: يا أنطونيوس، أمّا أنت فانتبه إلى ذاتك، وأما تلك الأمور فهي من حكمة الله، وليس من شأنك أن تعرفها.

٣ - سأل أحدهم الأنبا أنطونيوس قال: ماذا عليّ أن أعمل لأرضي الله؟ فأجابه الشيخ: افعل ما أوصيك به الآن. حيثما ذهبت، فليكن الله دوما أمام ناظريك، مهما فعل ك أو قلت، فليكن بحسب شهادة الأسفار المقدسة، ايما مكان سكنت، فلا تبرحه بسهولة. احفظ تلك الوصايا

الثلاث تخلص.

٤ – سأل الأنبا بامبو الأنبا أنطونيوس قال: ماذا ينبغي أن أفعل؟ أجابه الشيخ: لا تتكل على برّك ولا تحزن على ما مضى، بل اجتهد في أن تصبح سيد لسانك وبطنك.

٥ - قال الأنبا أنطونيوس: رأيت جميع شباك العدو منتشرةً في الأرض، فأخذت أنتحب وأقول: من تراه يجتاز تلك الشراك؟ وإذا بي أسمع صوتا يجيب: التواضع.

٦ - وقال أيضاً: بعضهم هشموا أجسادهم بالتقشف، ولكن أعوزتهم الفطنة، فابتعدوا عن الله.

٧ - وقال أيضا: الحياة والموت منوطان بقريبنا ٠ ذلك بأننا إن ربحنا أخانا ربحنا الله، أما إن شككنا أخانا فنخطئ في حق المسيح.

٨ - وقال أيضا: كما أن الأسماك تنفق إن بقيت طويلا خارج الماء، هكذا يكون من أمر الرهبان الذين يطيلون المكوث خارج صومعتهم أو يمضون وقتهم مع أهل العالم، فإنهم يفقدون الكثير ض سلامهم الباطن. لذا، علينا أن نتشبه بالسمكة التي تسرع إلى البحر، فنبادر إلى صومعتنا لئلا نطيل المكوث في الخارج فننسى تيقظنا في الداخل.

٩ - وقال أيضا: من يقيم في البريّة ويحيا في التخشّع ينفي عنه ثلاثة حروب: مع السمع، والثرثرة، والنظر. وحربه الوحيدة هي مع الزنى.

١٠ - كان في البرية صياد يقنص الوحوش، فرأى الأنبا أنطونيوس يتنزه مع بعض الإخوة فتشكّك. أما الشيخ فعزم على إقناعه بأنه ينبغي مراعاة الإخوة حيناً بعد آخر، وقال له: اجعل سهماً في قوسك وشدها. ففعل. فأردف الشيخ قال: زدها شداً. ففعل الصياد ما طلبه. فعاد الشيخ وقال: تابع شدك. فأجاب الصياد: إن شددت قوسي فوق حدها كسرتها. فقال له الشيخ: هكذا تجري الأمور في عمل الرب: فإن شددنا الإخوة فوق طاقتهم، سرعان ما يكسرون. لذا ينبغي مراعا ة احتياجاتهم الفينة بعد الفينة فلما سمع الصياد هذا الكلام امتلأ خجلا

وتأثر جداً بخطاب الشيخ فذهب في سبيله. أما الإخوة فعادوا أدراجهم وقد ازدادوا قوة وعزماً.

١١ - أطرأ الإخوة أحد الرهبان أمام الأنبا أنطونيوس. فلما استقبله الشيخ في بعض الأيام، اختبره ليعلم هل كان يتحمّل الإهانات. ولما رأى أنه لا يتحملها قال له: أنت أشبه بمنزل رائع المنظر في الواجهة، ولكنه فارغ سطا عليه اللصوص من الوراء.

١٢ - قال أحد الإخوة للأنبا أنطونيوس: تضرع لأجلي. فأجابه الشيخ: لن أشفق عليك، ولا الله أيضاً، إن لم تسعَ أنت جاهداً فتضرع إلى الله.

١٣ - في ذات يوم دخل بعض الشيوخ، ومعهم الأنبا يوسف، على الأنبا أنطونيوس فأراد الشيخ أن يمتحنهم، فعرض عليهم كلمةً من الكتاب المقدس، وسألهم، بدءاً من أصغرهم سناً، ما معناها. فراح كلٌّ منهم ينطق بما تيسَّر له. إلا أن الشيخ كان يقول لكل منهم: لم تجد الجواب وقال في آخر الأمر للأنبا يوسف: وأنت، كيف تفسر تلك الكلمة؟ فأجاب: لا أعلم، عندئذ قال الأنبا أنطونيوس: حقاً، لقد وجد الأنبا يوسف السبيل، لأنه قال: لا أعلم.

١٤ -قصد بعض الإخوة الأنبا أنطونيوس يوما، فركبوا السفينة، وإذ فيها شيخ قد سبقهم إليها. وكان الإخوة لا يعرفونه. فجلسوا في المركب يتحادثون تارةً عن أقوال الآباء، وطوراً عن الأسفار المقدسة، وطوراً آخر عن أعمالهم اليدوية. أمَّا الشيخ، فكان صامتاً ولما انتهوا إلى الميناء، وجدوا أن الشيخ كان يقصد هو أيضا الأنبا أنطونيوس، فلما وصلوا عند أنطونيوس قال لهم: لقد كان لكم هذا الشيخ خير رفيق في الطريق وقال للشيخ: قد كان لك هؤلاء خير إخوة يا أنبا. فقال الشيخ: لعلهم طيبون، إلا أنه لا باب لمنزلهم، وبوسع أي كان أن يد خل ساعة يشاء إلى الإصطبل فيحل رباط الحمار. قال هذا لأن الإخوة كانوا ينطقون بكل ما يخطر في افواههم.

١٥ - كان أ حد الإخوة قد تخلّى عن العالم ووزع أمواله على الفقراء، سوى أنه احتفظ بقليل منها لمصروفه الخاص. وإذ جاء في بعض الأيام لمقابلة الأنبا أنطونيوس، علم الشيخ بما فعل، فقال له: إن أردت أن تكون راهبا، فاذهب إلى القرية الفلانة واشتر لحما واجعله على جسمك العاري، وعد إلى هنا بهذا الزي، ففعل الأخ ما طلب إليه وإذا بالكلاب والطيور تنهش جسمه. ولما وصل عند الشيخ، سأله أنطونيوس هل اتبع نصيحته. فأراه جسمه المثخن بالجراح، فقال له القديس: من يزهدون بالعالم في حين يحتفظون بالثروات يمزقون على هذا النحو، تمزقهم الشياطين وتحاربهم.

١٦ - دأب ثلاثة آباء على الذهاب كل سنة عند أنطونيوس الطوباوي وكان اثنان يسألانه عن أفكارهما وخلاص نفسيهما، أما الثالث فكا ن يلازم الصمت التام لا يطرح سؤالاً واحداً وبعد مدة طويلة، قال له الأنبا أنطونيوس: إنك تأتيني منذ زمن طويل ولم تسألني مرة واحدة! فأجابه :واحدةٌ تكفيني يا أبت: أن أراك.

١٧ - قال الأنبا أنطونيوس: لم أعد أخاف الله بعد اليوم، بل إني أحبه، فالحب يطرد الخوف خارجاً.

١٨ - قال الأنبا أنطونيوس: من يضرب قطعة من حديد، يفكر أولاً في ما يريد أن يفعل منها: أمنجلاً، أم سيفاً، أم فأساً. وهكذا ينبغي لنا، نحن أيضاً، أن نتساءل ما هي الفضيلة التي نريد الوصول إليها، خشية أن ننهك قوانا باطلا.

١٩ - وقال أيضا إن الطاعة مقرونة بالتعفف تعطي القوة على الوحوش.

٢٠ - وقال أيضا: ينبغي للراهب، قدر المستطاع، أن يُعلم الشيوخ بعدد الخطوات التي يقوم بها وبعدد نقاط الماء التي يشربها في صومعته، ليتيقن أنه لا يخطئ في ذلك.

## الأنبا أَنُوب

روى الأنبا يوحنا أن الأنبا أنوب والأنبا بيمين وسائر أشقائهما – من الرحم الواحد - المترهبين في الإسقيط، رحلوا، بعد أن غزا المزيقيون منطقتهم مرة أولى، إلى مكان يدعى ترنوثين وبانتظار أن يروا أين تستقر بهم القدم، بقوا بعض الأيام في معبد قديم. فقال الأنبا أنوب للأنبا بيمين: بالله عليك، اذهب أنت وسائر الأشقاء، وعيشوا كل بمفرده في الخلوة فلا نلتقي طوال الأسبوع، وهكذا فعلوا. وكان في الهيكل المذكور تمثال من حجر. فكان الأنبا أنوب، إذا ما استيقظ في الصباح، يرمي وجه التمثال بالحجارة، وفي المساء يقول له: سامحني. وظل على هذا الحال مدة الأسبوع كاملة. وفي يوم السبت اجتمع الأشقاء، وقال الأنبا بيمين للأنبا أنوب: رأيتك، يا أبت، طوال الأسبوع، ترمي وجه التمثال بالحجارة ثم تسأله المغفرة. هل يفعل المؤمن ما فعلت ؟، فأجابه الشيخ: فعلت ذلك في سبيلكم. لقد رأيتموني أرشق وجه التمثال بالحجارة، فهل كلمني أو استشاط غضبا؟ أجاب الأنبا بيمين بالنفي. فأردف الشيخ: ولما انحنيت للاستغفار، هل اضطرب وقال لي: لا أسامحك؟ فأجاب الأنبا بيمين مرة ثانية بأن لا. فتابع الشيخ: ونحن، إنما نحن سبعة أشقاء. فإن أردتم أن

نبقى معا، لنكن مثل هذا التمثال: لأنه سواء شتموه أو تملقوه، فهو لا يضطرب. ولئن أبيتم أن تكونوا على هذه الحال، فثمة في الهيكل أربعة أبواب، وليذهب كل واحد حيثما يشاء عندئذ أكبّ الأشقاء على وجوههم وقالوا للأنبا أنوب: سنفعل بحسب رغبتك يا أبانا، وسنصغي

إلى ما تقوله لنا. وأضاف الأنبا بيمين: مكثنا معا طوال ما تبقى من الزمن، نعمل بحسب ما يقوله لنا الشيخ. وجعل أحدنا قيما على المصروف، وكنا نأكل سائر ما يحمله ولا قدرة لأحد منا أن يقول: احمل لنا شيئاً آخر، أو: لا نريد أن نأكل هذا. وأمضينا هكذا بقية وقتنا في

الراحة والسلام.

## الأنبا أُلمبيوس

١ - قال الأنبا أُلمبيُوس ما يلي: نزل أحد كهنة اليونان يوما إلى الإسقيط فجاء إلى صومعتي وأمضى ليلته فيها. وبعد أن لا حظ طريقة عيش الرهبان قال لي-: ما دمتم تعيشون على هذا النحو، أفلا تحصل لكم رؤى من لدن إلهكم؟ فقلت له أن لا. قال لي الكاهن: ومع ذلك، فعندما نقدم ذبيحة لإلهنا، لا يخفي علينا شيئا، بل يكشف لنا أسراره. وأنتم الذين يجهدون كل ذلك الجهد في الأسهار والتخشُّع والتقشُّف، تقول إنكم لا تشاهدون شيئاً! في الحقيقة إن كنتم لا ترون شيئاً فلأن في قلوبكم أفكاراً دنسة تفصلكم عن إلهكم، ولهذا السبب لا تُكشف لكم أسراره. فذهبت وأخبرت الشيوخ بكلمات الكاهن، فأعجبوا بها وقالوا إن الأمر على ما وصف. ذلك بأن الأفكار الدنسة تفصل بين الله والبشر.

٢ - تعرض الأنبا أُلمبيُوس لهجمات الزنى. فقال له فكره: اذهب واتخذ لك امرأة. فقام، وصنع طيناً، وصور منه امرأة وقال: هذه امرأتك. فعليك إذا أن تعمل كثيراً لإطعامها. وعمل على أشد ما يكون الجهد. وفي اليوم التالي، صنع طيناً مجدداً، وصور لنفسه فتاة وقال لفكره: لقد أنجبب امرأتك، فعليك أن تزيد من عملك لتستطيع إطعام ولدك وإلباسه.

وهكذا فعل فأرهق نفسه، وقال لفكره: ما عدت أطيق هذا التعب.

فقال له فكره: إن كنت لا تطيق هذا التعب، فلا تبحث بعد اليوم عن امرأة ولما رأى الله شقاؤه، نفى عنه الجهاد، فنال الراحة

## الأنبا إيليّا

قال الأنبا إيليا: من جهتي، هناك ثلاثة أخشاها ساعة تخرج روحي من جسدي وساعة يتوجب عليّ المثول في حضرة الله، وساعة يصدر الحكم عليّ.

## الأنبا يامبُو

١ - أربعة من أهل الإسقيط يرتدون الجلود جاؤوا يوما لمقابلة يامبو العظيم فبينّ له كل منهم ما كان عليه جاره من الفضيلة. فالأول كان كثير الأصوام، والثاني كان فقيرا، والثالث صار على قسط وافر من المحبة. وعن الرابع قالوا إنه كان يعيش منذ اثنتين وعشرين سنة في طاعة أحد الشيوخ. فقال لهم يامبو: أقول لكم، إن فضيلة هذا الأخير هي الأسمى. فكلّ من الآخرين نال الفضيلة التي أراد الحصول عليها، أما هذا الأخير فقد انتزع إرادته الخاصة ليعمل إرادة شخص آخر. ومثل هؤلاء الناس شهداء، إن هم واظبوا حتى النهاية.

٢ - توسل أثناسيوس، رئيس أساقفة الإسكندرية المقدس الذكر، إلى الأنبا يامبو أن ينزل من الصحراء إلى الإسكندرية، فنزل. وإذ شاهد ممثلةً أجهش بالبكاء. فسأله الحاضرون عن سبب دموعه، فقال: اثنتان دفعتاني إلى ذلك: إحداهما هلاك هذه المرأة، والأخرى أنني لا اجتهد لإرضاء الله كمثل ما تجتهد هذه المرأة لإرضاء البشر الأشرار.

٣ - حدث ذات مرة أن الأنبا يامبو كان مسافرا في مصر مع بعض الإخوة .فالتقى نفرا من العلمانيين جلوساً، فقال لهم: انهضوا وسلموا على الرهبان لتنالوا البركة، فإنهم يخاطبون الله من دون هوادة وأفواههم مقدسة.

٤ - روي عن الأنبا يامبو أنه في ساعة موته بالذات قال للأناس القديسين القائمين إلى جانبه: منذ أن جئت إلى هذا المكان في البرية وبنيت فيه صومعتي وسكنتها، لا أنكر أنني أكلت خبزا لم يكن من ثمر يدي، ولم أندم على كلمة قلتها حتى الساعة. ومع ذلك فإني ذاهب إلى الله كما لو أني لم أباشر خدمته قط.

## الأنبا بِسّاريُون

١ - روى الأنبا دولا قال: كنا في أحد الأيام نسير على شاطئ البحر، فعطشت وقلت لأنبا بساريون: أبت، إني عطشان شديد العطش. فصلى وقال لي: اشرب من ماء البحر فأصبح الماء عذبا وشربت منه، وأخذت منه في قربةٍ خشية أن أعطش في ما بعد. فلما شاهد الشيخ

ذلك، سألني لماذا ملأت القربة ماء. فقلت: سامحني، ولكني خشيت أن أعطش في ما بعد. فقال لي الشيخ: الله هنا، وانه في كل مكان.

٢ - في يوم آخر أتيت إلى صومعته فوجدته واقفا يصلي ويداه مرفوعتان نحو السماء. وبقي على هذه الحال أربعة عشر يوما، ثم ناداني وطلب إلى أن أتبعه. فذهبنا إلى الصحراء وإذ عطشت قلت له: أبت، أنا عطشان. فأخذ الشيخ ردائي وابتعد نحو رمية حجر ثم صلى وأعاده إلي مملوءاً ماءً. ثم مشينا وانتهينا عند مغارة، فدخلناها ووجدنا فيها أخاً جالساً يجدل حبلاً. ولكنه لم يرفع عينيه نحونا، ولم يلق علينا تحية ولم يرد أن يدخل معنا في أي حديث. فتابعنا سيرنا نحو ليقُو حتى وصلنا عند الأنبا يوحنا. وبعد أن سلمنا عليه، صلينا، ثم جلس الشيخان يتحدثان على الرؤيا التي حدثت للأنبا بساريون، فقال إنه أنبئ بأن الهياكل ستدمر. وهذا ما جرى، فقد دمرت الهياكل. ولدى عودتنا وصلنا مرةً أخرى عند

المغارة التي شاهدنا فيها الاخ. فقال لي الشيخ: فلندخل عنده، لعل الله أوحى إليه بمخاطبتنا، ولما دخلنا عليه وجدناه ميتاً، فقال لي الشيخ :تعال، يا أخي، نأخذ جثته. فلهذا أرسلنا الله ولما أخذنا الجثة لدفنها وجدنا أنها جثة امرأة. فأخذ العجب من الشيخ كلَّ مأخذ وقال: أنظر كيف ينتصر النساء على الشيطان، في حين نحن، أهل المدينة، نسيء السلوك وبعد أن شكرنا الله الذي يحمي من يحبهم، انصرفنا.

٣ - قال الأنبا بساريون: مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة بقيت واقفاً بين الأشواك لا أنام.

٤ - طرد الكاهن من الكنيسة أخاً أُخذ بخطيئة. فقام الأنبا بساريون وخرج معه وهو يقول: أنا أيضاً خاطئ.

## الأنبا بَفنُوقيُوس

روي عن الأنبا بَفنُوقيُوس أنه لم يكن يشرب الخمرة بسهولة. وفيما كان ذات يوم في الطريق، التقى زمرة من اللصوص يعاقرون الخمرة. وكان رئيس الزمرة يعرفه ويعلم أنه لا يشرب خمراً. فلما شاهد ما كان عليه من الإعياء الشديد، ملأ له كاساً من الخمر وأمسك بسيفه وقال له: إن لم تشرب قتلتك. أما الشيخ فتناول الكأس وشربها، مدركاً أنه كان يتمّم بذلك مشيئة الله ليكسب السارق. عندئذٍ طلب إليه السارق المغفرة وقال :سامحني يا أنبا، لأنني أحزنتك فقال له الشيخ: إني واثق بأن الله، بسبب هذه الكأس، سيرحمك الآن وفي العهد الآتي. وقال له رئيس اللصوص: إنني واثق بالله وبأنني منذ الآن لن أتسبب لأحد بأذى.

وهكذا كسب الشيخ الجماعة بأسرها بفضل تخليه عن إرادته الخاصة من أجل الرب يسوع.

## الأنبا بنيامين

قال الانبا بنيامين، كاهن الصوامع: ذهبنا إلى الإسقيط عند شيخ نحمل إليه قليلا من الزيت ولكنه قال لنا: أنظروا أين هي القارورة الصغيرة التي حملتموها إلي. منذ ثلاث سنوات: فقد بقيت كما تركتموها. عند سماعنا هذا الكلام، عجبنا لفضيلة ذاك الشيخ.

## الأنبا بِيمِين

١ - كان الأنبا بيمين في ريعان شبابه، فقصد يوما أحد الشيوخ يسأله في شأن خواطر ثلاث فلما انتهى إليه نسي إحدى الثلاث، فعاد إلى صومعته. وإذ كان يمد يده ليفتح الباب، تذكر ما نسيه، فما كان منه إلا أن ترك المفتاح مكانه وعاد إلى الشيخ. فقال له الشيخ: لقد عدت سريعاً يا أخي! فروى له ما حصل، قال: ما إن مددت يدي لآخذ المفتاح حتى تذكرت الخاطرة التي كنت أبحث عنها. لذا لم أبادر إلى الفتح بل عدت أدراجي. وكانت مسافة الطريق طويلة جداً. فقال له الشيخ: يا راعي القطعان، سوف يلفظ اسمك في مصر كلها.

٢ - حدث مرة ان باسيوس، شقيق الأنبا بيمين، أجرى حديثاً مع بعض الناس خارج صومعته وكان بيمين لا يريد ذلك، فقام وهرب ميمّمًا شطر الأنبا أمّونا وقال له: إن باسيوس أخي يتحدث مع بعض الناس، لذا لا أجد الراحة. فقال له الأنبا أمونا: يا بيمين، أما زلت حياً؟ اذهب واقعد في صومعتك، واحفر في قلبك أنك في القبر منذ سنة.

٣ - جاء كهنة المنطقة يوما إلى أديرة الأنبا بيمين، فأتاه الأنبا أنوب وقال له: فلندعُ الكهنة اليوم. أما هو فظلَّ وقتاً طويلاً لا يرد جوابا، مما دفع الأنبا أنوب إلى الانصراف حزيناً عندئذ سأل الحاضرون بيمين قالوا: يا أنبا، لماذا لم تجبه بشيء؟ قال: ليس الأمر شأني، فإني ميت، والميت لا يتكلم.

٤ - كان في مصر، قبل مجي ء جماعة الأنبا بيمين إليها، شيخ ذاع صيته وجل قدره، فلمّا صعد جماعة الأنبا بيمين من الإسقيط، ترك الناس ذاك الشيخ ليلتحقوا بالأنبا بيمين، فدب الحسد في قلب الشيخ وراح يشنعُ بهم. ولما سمع الأنبا بيمين الخبر حزن وقال لإخوته: ما العمل في سبيل هذا الشيخ؟ فالناس أحرجونا بتخليهم عنه واتّباعنا، ونحن لا شيء. كيف

يمكننا التخفيف عن هذا الشيخ؟ ثم قال لهم: هيئوا قليلاً من الطعام وخذوا دنًّا من الخمر، وتعالوا ننطلق إليه ونأكل معه، وهكذا يمكننا التخفيف عنه بسهولة. فحملوا الطعام وقصدوه. ولما قرعوا الباب أجابهم تلميذ الشيخ: من أنتم؟ قالوا: قل للأنبا: إنه بيمين، وهو يبغي أن

تباركه. فلمّا حمل إليه التلميذ الخبر، أرسل معه يقول: امض في سبيلك، فلا وقت لي. أما هم فلم يكفوا عن الطلب على الرغم من الحر، وقالوا: لن ننصرف قبل أن نحظى بمقابلة الشيخ فلما رأى الشيخ تواضعهم وصبرهم، تملكه الخجل وفتح لهم. عندئذ دخلوا وأكلوا معه.

وفي أثناء الطعام قال لهم: بالحقيقة، إني أرى في أعمالكم لا ما سمعته عنكم وحسب، بل مائة ضعف ما سمعت ومن ذلك اليوم أصبح صديقهم.

٥ - أراد رئيس تلك المنطقة يوما مشاهدة الأنبا بيمين، ولكنّ الشيخ أبى.

فقبض الرئيس على ابن اخته بحجة أنه من أصحاب الجنايات، وألقاه في السجن قائلا في نفسه: إن جاء الشيخ يشفع به، سأطلق سراحه.

فجاءت أخته تبكي عند بابه، ولكنها لم تنل منه جواباً، فراحت توبخه وتقول: يا قلبا حجرا، ارحمني، فهذا ابني الوحيد. أما هو فأرسل يقول لها: إنّ بيمين لم يُنجب ولداً. فانصرفت. ولما علم الرئيس بالأمر أرسل بدوره من يقول له: لئن

سألتني بكلمة واحدة، أطلقته. فأجابه الشيخ :حاكمه بحسب القوانين، فإن استوجب الموت أمته، وإلاّ فافعل ما تشاء.

٦ - في ذات يوم قدم جمع من الشيوخ إلى الأنبا بيمين وكان لأحد أقرباء الأنبا ولدٌ تسلطت عليه قدرة شريرة فجعلت رأسه متجها إلى الوراء.

فلما رأى الوالد جمهور الآباء أخذ ابنه وجلس خارج الدير يبكي. وصادف أن أ حد الشيوخ هم بالذهاب فرآه وسأله: ما بالك تبكي يا رجل؟ فأجاب: أنا قريب الأنبا بيمين، وها إن تلك المحنة أصابت ولدي، وإني أرغب في أ خذه إلى الشيخ، إلا أنني أخاف لأنه لا يريد مشاهدتنا. وإن علم الآن أني هنا سيعمل على طردي. أما أنا، فلما رأيتكم، تجاسرت وأتيت. فإن شئت، يا أبتِ، ارحمني وخن الصبيّ إلى الداخل وصلوا عليه فدخل الشيخ مع الصبيّ وتصرف بفطنة، فلم يقدم الولد توًا إلى الأنبا بيمين، بل توجه أولاً إلى أصاغر الإخوة فقال لهم: ارسموا إشارة الصليب على هذا الولد الصغير، وبعد أن رسم الجميع، كل بدوره، إشارة الصليب، قدمه أخيراً إلى الأنبا بيمين. أمّا هو، فامتنع عن الرسم، ولكنّ الآخرين استحثوه وقالوا له: أنت أيضاً، يا أبانا، افعل على نحو ما فعل الجميع. فقام وهو يئن، وصلى وقال: اللهم اشفِ خليقتك لئلاّ يتسلط عليها العدوّ. ثم رسم على الصبيّ إشارة الصيب فشفي من ساعته، ودفعه الشيخ إلى أبيه.

٧ - في ذات يوم سافر أحد الإخوة القريبين من الأنبا بيمين إلى الخارج، فلقي هناك ناسكا وكان هذا الناسك محباً في غاية ما تكون المحبة. وكان الكثيرون يأتون إليه. فأخبره الأخ ما يخص الأنبا بيمين، فما إن سمع بفضائله حتى اشتهى أن يراه. ولم عاد الأخ إلى مصر، قام الناسك بعد مدة وجاء من الخارج إلى مصر وذهب عند الاخ الذي زاره في ما مضى، وكان

قد أعلمه بمكان سكناه. فلمّا شاهد الأخ الناسكَ تملكه العجب وفح فرحاً شديداً. فقال له الناسك: أسد إلي وقُدني إلى الأنبا بيمين فأخذه عند الشيخ وعرفه به، قال: إنه رجل عظيم، متمرسٌ بالمحبة جداً، يتمتع بقسطٍ كبير من التقدير في منطقته ٠ وقد كلمتهُ عليك، فرغب

في مشاهدتك وجاء. فاستقبله الأنبا بيمين مسرورا وسلَّم أحدهما على الآخر وجلسا. وشرع الغريب يتحدث في أمور روحية وسماوية منطلقاً من الأسفار المقدسة. إلا أن الأنبا بيمين أشاح بوجهه ولم ينبس بكلمة. فلما رأى الآخر أنه لا يخاطبه، انصرف حزيناً وقال للأخ الذي أتى به: قمت بهذا السفر الطويل عبثًا، فإني قصدتُ الشيخ وهو لم يُرد مخاطبتي.

عندئذ دخل الأخ على الأنبا بيمين وقال له: يا أبت، إن هذا الرجل العظيم جاء من أ جلك، هو المعروف الشهير في بلاده. لِمَ لم تخاطبه؟ فقال الشيخ: إنه من علُ وينطق بالأمور السماوية، أمّا أنا فمِن أسفل وأنطق بالأمور الأرضية.

ولو كلمني على أهواء النفس لأجبته، ولكنه إذا ما كلمني على الأمور الروحية، فأنا لا أفقه فيها شيئاً عندئذ خرج الأخ وقال للزائر: إن الشيخ لا يتكلم بطيبة خاطر في شؤون الكتاب المقدّس، ولكن إذا ما خاطبوه في أهواء النفس فإنه يجيب. فامتلأ الزائر خجلاً ورجع إلى الشيخ وقال له: ما العمل يا أبتِ، فأهواء النفس تسيطر عليّ؟ فالتفت إليه الشيخ وأجابه فرحاً: إنك تأتي هذه المرّة على نحو ما يرام.

والآن افتح فاك في تلك الشؤون وسأملأها خيرات رجع الرجل بعد ذاك وهو يمجد الله لأنه استحق أن يلتقي مثل هذا القديس.

٨ - سأل أحد الإخوة الأنبا بيمين قال: لقد اقترفت خطأ عظيماً، وأريد أن أتوب مدّة ثلاث سنوات فقال له الشيخ: هذا كثير. قال الأخ :ومدّة سنة؟ فقال له الشيخ ثانية: هذا كثير. وقال الحاضرون: ومدّة أربعين يوماً؟ فقال أيضاً: هذا كثير. وأردف: أما أنا فأقول إنه إذا ما تاب المرء بكلّ قلبه، وقصد ألا يقترف خطيئة بعد ذلك، فالله يقبله حتى في غضون ثلاثة أيام.

٩ - وقال أيضاً: علامة الراهب المميزة تظهر في أثناء التجارب.

١٠ - وقال أيضاً: كما أن حارس الملك الخاصّ يقوم دوماً إلى جانبه في حالة تأهب، هكذا ينبغي أن تظل النفس متأهّبةً محترزة من شيطان الزنى.

١١ - روي أنه إذا ما دعي الأنبا بيمين إلى الطعام خلافاً لإرادته، كان يذهب إليه باكياً لئلا يرفض إطاعة أخيه ولكي لا يحزنه.

١٢ - أخبر بعضهم الأنبا بيمين عن أخ لا يشرب خمراً. فقال: ما كانت الخمرة من شؤون الرهبان قط.

١٣ - سأل الأنبا أشعيا الأنبا بيمين في شأن أفكار الدنس، فقال له الأنبا بيمين: إنها أشبه بخزانة مليئة بالثياب: إن تُركت مهمله أفسدها الزمن.

وهكذا في شأن الأفكار: فإن لم نحققّها بالجسد، تفسد بمرور الزمن، أي إنها تختفي.

**الأنبا بولس البسيط**

روى الأنبا بولس ا لبسيط الطوباوي، تلميذُ الأنبا أنطونيوس، للآباء ما يلي: لقد ذهب ذات يوم إلى دير ليزوره وليؤدي فيه للإخوة بعض الخدمات. وبعد الحديث المعهود، دخل الإخوة كنيسة الله المقدّسة ليقوموا بالفرض بحسب عادتهم. وكان بولس الطوباوي ينتبه إلى كل من يدخل الكنيسة، متفحصاً استعداده الروحي وهو ذاهب إلى الاجتماع. ذلك بأنه نال من الرب نعمةً بها يرى روح كل واحد وما هي عليه من الحال، على نحو ما نحن نرى الوجوه. وإذ دخل الجميع وعيونهم لامعة ووجوههم ساطعة وملاكُ كل واحد منهم مسرور بصاحبه، قال إنه رأى واحداً فقط أسود اللون، مظلم الجسم بكلتيه، والشياطين إلى جنبه يستحوذون عليه ويجذبونه إليهم بعد أن ربطوا رسماً في أنفه، في حين راح ملاكه يتبعه عن بعد مطأطئ الرأس كئيباً حزيناً. فأخذ بولس يقرع صدره وجلس أمام الكنيسة يبكي بكاءً مراً على الذي رآه في تلك الحال. ولما شاهد الإخوة هذا التصرف الغريب والتبدل المفاجئ الذي دفعه إلى البكاء والتحسر، سألوه بإلحاح أن يقول لهم لماذا راح يبكي، وكانوا يخشون أن يكون عمله

هذا علامة تنديد بهم جميعاً. ودعوه إلى مرافقتهم إلى صلاة الفرض.

ولكنّ بولس نحّاهم وبقي على حاله جالساً خارج الكنيسة. وبعد ارفضاض الاجتماع بقليل، إذ كان الجميع يخرجون، أ خذ بولس يتفحص كلَّ واحدٍ منهم وهو يريد أن يعرف على أي حالة يخرجون. وإذا به يشاهد ذاك الرجل، الذي كان أسود وجسمه مظلم داكن، يخرج من الكنيسة براقَ الوجه، أبيض الجسم، والشياطين تتبعه من بعيد في حين ملاكه القدّيس يرافقه عن كثب ويُسُّر لحاله جداً. فقفز بولس فرحاً وشرع يهتف ويسبح الله يقول: يا لمحبة الله للبشر التي لا توصف! ما أعظم رأفته وصعد راكضاً إلى درجة يُشرف منها وقال بصوت جهوري: تعالوا وانظروا أعمال ربنّا، ما أرهبها وكم تستحقّ كامل إعجابنا! تعالوا وانظروا ذاك الذي يريد أن يخلص جميع البشر ويصلوا إلى معرفة الحقيقة! تعالوا ننحني ونجثو عند قدميه ونقول: أنت وحدك تستطيع نزع الخطايا! فهب الجميع مسرعين يريدون أن يسمعوا ما يقول، ولما اجتمعوا كلهم أخبرهم بولس ما رآه عند مدخل الكنيسة وما جرى بعد ذلك، وطلب إلى ذلك الرجل أن يقول السبب الذي جعل الله يُنعم عليه فجأةً بمثل هذا التبدل. فأخبر الرجل الذي عينه بولس، أمام الجميع وبدون مواربة، ما كان من أمره، قال: إنما أنا رجل خاطئ، ومنذ مدة طويلة وحتى الساعة كنت أعيش في الزنى، فلمّا دخلت الآن كنيسة الله المقدّسة سمعت ما كان يتلى من أشيعا النبيّ القديس، بل من الله المتكلم بواسطته: اغتسلوا، تطهروا، انزعوا الشرّ من قلوبكم، تعلموا أن تفعلوا الخير أمامَ عينيّ. فلئن كانت أخطاؤكم كالقرمز سأبيضها كالثلج، وإن أردتم وأصغيتم إليّ ستأكلون من خيرات الأرض ثم أردف قال: وأنا الزاني، ملأت الحسرةُ نفسي لدى سماعي كلمة النبيّ هذه، وصارت روحي تئنّ وقلت لله: اللهم، أنت الذي جاء إلى العالم ليخلّص الخطأة، حقِّق فيّ أنا الخاطئ غير المستحق ما أعلنته الآن بفم النبيّ. ها أنا ذا، بدءاً من الآن، أعدك وعداً صادقاً وأؤكد لك في قلبي أنني لن أفعل بعد اليوم أيًّا من تلك الأعمال السيئة، لا بل أ كفّ عن كل معصية وسأخدمك منذ الآن بضمير نقيّ. اليوم، يا معلّمي، وانطلاقا من

هذه الساعة، استقبلني أنا التائب، الجاثي عند قدميك، المصمِّم على الامتناع عن كل خطاء في المستقبل وتابع قال: بعد وعودي هذه، خرجتُ من الكنيسة مصمماً في قرارة نفسي ألا أعود إلى اقتراف أي عمل دنيء في حضرة الله. فلما سمعوا هذا الكلام هتفوا جميعاً إلى الله بصوت واحد: ما أروع أعمالك يا ربنا، ويا للحكمة التي بها صنعتها! فلنعلم إذا أيها المسيحيون، نحن تلاميذ الأسفار المقدسة والوحي المقدس، عظمة رأفة الله بالذين يلجئون إليه صادقين ويصلحون أخطاءَهم السابقة تائبين. ولنعلم أن

الله يعيد الخيرات التي وعدَ بها سابقاً بدون أن يفرض التعويض عن الأخطاء الماضية، أولا نيأسنَّ من خلاصنا. فالله، على حدّ ما أعلنه أشعيا النبي يغسل الذين يتمرغون في حمأة أخطائهم، ويجود عليهم بخيرات أورشليم السماوية. وكذلك يؤكد لنا الله بلسان حزقيال النبيّ ويقسم لنا أنه لن يفنينا. فقد قال ربنا: حيٍّ أنا، وإنّي لا أريد موت الخاطئ بل أن يتوب

فيحيا.

## الأنبا بولس القُوزميّ

١ - كان الأنبا بولس القوزميّ وطيموثاوس أخوه يعيشان في الإسقيط. وغالبا ما كانا يتجادلان. فقال الأنبا بولس: حتّامَ نظلّ على هذه الحال؟ أجابه الأنبا طيموثاوس: ألا أحسِن إلي، فإذا ما قاومتك، تحملني، وأنا إذا ما قاومتني، تحملتك. وبفضل هذه الطريقة أمضيا بقية أيامهما بسلام.

٢ - كان الأنبا بولس والأنبا طيموثاوس المذكوران آنفا يتعرّضان لإزعاج الإخوة. فقال طيموثاوس لأخيه: لمَ اخترنا هذه المهنة؟ فالناس لا يدعوننا نعيش بسلام طوال النهار فأجابه الأنبا بولس: سلام الليل يكفينا، إن كان فكرنا متيقظاً.

## الأنبا بِيُور

١ - كان الأنبا بيور يأكل وهو يذرع الأرض ذهاباً وإياباً. فسأله أ حدهم لماذا يأكل على هذا النحو، فقال: لا أريد أن أعدّ مأكلي عملاً، بل أحسبه أمراً نافلاً وسأله آخر عن هذا الموضوع، فأجاب: لكيلا تشعر نفسي بأي لذةٍ جسدية وهي تأكل.

٢- عُقد ذات يوم في الإسقيط اجتماع في شأن أخ اقترف خطيئة. وكان الآباء يتكتمون، في حين يلزم الأنبا بيور الصمت. وبعد ذلك نهض وخرج وأخذ كيساً ملأه رملاً وحمله على كتفه. وجعل أيضاً قليلاً من الرمل في جيب صغير حمله على صدره. فلما سأله الآباء ما معنى هذا التصرف، قال: هذا الكيس المملوء رملاً كثيرا أنما هو خطاياي، وهي كثيرة. وقد تركتها خلفي لئلا أتحسّر بسببها، فلا أبكي. وهذه هي خطايا أخي الصغيرة، جعلتها أمامي وأمضي وقتي أحكم عليها. فلا ينبغي أن أفعل هكذا، بل الأحرى أن أحمل خطاياي أمامي، وأجعلها موضوع اهتمامي، وأضرع إلى الله أن يغفرها لي فقام الآباء وقالوا: حقاً، تلكم هي طريق الخلاص.

ج

**الأنبا جلاسيُوس**

١ - رؤي أته كان لأنبا جلاسيوس نسخة من الكتاب المقدس كتبت على الرق تقدّر قيمتها بثماني عشرة من الفضة. ذلك بأنها كانت تحتوي على كامل العهدين القديم والجديد. وكان قد وضعها في الكنيسة لكي يتسنى لكل من أراد من الإخوة أن يطالعها. وحدث أن أخا غريبا جاء لمقابلة الشيخ، فرأى الكتاب واشتهاه وسرقه ورحل. أما الشيخ فلم يلحق به ليستعيده منه مع أنه فهم ما كان من حقيقة الامر. وذهب ذلك الاخ إلى المدينة محاولا بيع الكتاب، فوجد من يقتنيه وطلب سعره ستّ عشرة من الفضة. فقال له الشاري: أعرني إياه أولاً لكي أفحصه ثم آتيك بالثمن فسلمه إياه. وحمله المشتري إلى الأنبا جلاسيوس ليفحصه وأخبره بالثمن الذي طلبه البائع. فقال له الشيخ: اشتره، لأنه جميل ويساوي ما تقول. فعاد صاحبنا وخاطب

البائع بخلاف ما سمعه من الشيخ فقال: عرضته على الأنبا جلاسيوس فأجابني أن سعرك غالٍ إذ الكتاب لا يساوي الثمن الذي عينته فلما سمع الأخ ذلك، سأله: ألم يقل لك الشيخ شيئاً آخر؟ أجاب: لا. فأردف البائع: عدلتُ عن بيعك إياه وجاء عند الشيخ خجلا وجلا ليكفر عن ذنبه. وسأله أن يستعيد كتابه. أما جلاسيوس فلم يرد استرجاعه. فقال له الأخ: إن لم تسترجعه لن أجد الراحة. فأجابه الشيخ: إن كنت لا تجد الراحة هكذا فسآخذه. وبقي الأخ عنده حتى وافته المنية.

٢ - روي عن الأنبا جلاسِيُوس أنه كثيرا ما كانت تَقصُّ مضجعه فكرةُ الذهاب إلى البّرية. وفي ذات يوم قال لتلميذه: خذني برحمتك، يا أخي، ومهما فعلت فتحمَّله ولا تقل لي شيئا طوال هذا الأسبوع. ثم أخذ قصبةً وراح يمشي في باحته الصغيرة ٠ ولما تعب قعد قليلاً ثم قام ثانيةً ليمشي. ولما حل المساء قال في نفسه: من سار في البرية لا يأكل الخبز، بل الأعشاب ٠ أما أنت، فبسبب ضعفك كل الخضرة النيئة. ففعل هكذا، ثم قال في نفسه: من كان في البرية لا ينام على فراش بل في الهواء الطلق، فافعل هكذا. وتمدد في البهو ونام. فمشى على هذا النحو في الدير مدة ثلاثة أيام، يأكل في المساء بعض أوراق الهندباء، وينام كل ليلة في الهواء الطلق، حتى أخذ منه التعب. عندئذٍ عاد إلى الفكرة التي كانت تضايقه فدحضها بهذه الكلمات: إن كنت لا تقوى على تتميم أعمال البرية، فابقَ في صومعتك صابراً، باكيا خطاياك، ولا تتجوّل هنا وهناك. ذلك بأن عين الله تنظر إلى أعمال البشر، ولا شيء يغب عنه، وهو عليم بالذين يعملون الصالحات.

د

**الانبا دانيال**

١ - حدثنا الأنبا دانيال قال: كان في بابل ابنة لأحد الأعيان بها شيطان .فقال للوالد راهبٌ عزيز على قلبه جداً: لا أ حد يستطيع شفاء ابنتك إلاّ نسّاك أعرفهم. ولكن إن سألتهم أن يفعلوا، امتنعوا تواضعاً. فلنتصرف إذاً على هذا النحو: عندما يأتون إلى السوق، تظاهروا بأنكم تريدون ابتياع بعض منتوجاتهم، ولما يجيئون لقبض الثمن، سنقول لهم أن يتلوا دعاءً،

وأظنّ أنّ ابنتك ستشفى. فذهبوا إلى السوق ووجدوا أ حد تلاميذ الشيوخ جالسا يبع منتوجاتهم، فسألوه أن يصحبهم مع عدد من السلال وكأنهم يريدون دفع ثمنها في ما بعد. ولكن لما وصل الراهب إلى البيت، جاءت الممسوسة وصفعته على خدّه، أما هو فمد لها خدّه الآخر بحسب وصية الرب يسوع. فانتاب الشيطان ألم شديد وصرخ: يا للتعنيف! ها إنّ

وصية يسوع تطردني. وفي الحال برئت المرأة. ولما جاء الشيوخ، أخبروهم بما جرى، فمجدوا الله وقالوا: من المألوف إسقاط كبرياء الشيطان بتواضع وصية المسيح.

٢ - وقال الأنبا دانيال أيضا: يزدهر الجسد بقد ر ما تضعف الروح، وتزدهر الروح بقدر ما يضعف الجسد.

٣ - إليكم ما رواه الأنبا دانيال الفارانّي: حدّث أبونا الأنبا أرسانيوس أنّ أحد سكان الإسقيط كان معروفاً بتقشفه الشديد، ولكن أيضاً ببساطة إيمانه، وبسب بساطته كان يخطئ ويقول: إنّ الخبز الذي نتناوله ليس جسد المسيح حقًّا بل رمز له. فسمع اثنان من الشيوخ أنه تفوه بهذا الكلام، ولما كانا يعلمان أنه مُجَلِّ في طريقة عيشه ظناً أنهّ تكلم بدون خبث وعن مجرد بساطة. لذا قصدا الأنبا أرسانيوس وقالا له: أبانا، سمعنا طرحاً مخالفاً للإيمان، طرحه أحدهم، إذ قال بأن الخبز الذي نتناوله ليس جسد المسيح حقاً بل رمز له. فقال لهما الشيخ: أنا الذي تلفظ بهذا الكلام. عندئذٍ جعلا يحثانه ويقولان له: لا تتبنَّ هذا الموقف يا أبانا، بل تبنَّ واحداً موافقاً لما سلَّمَتنا إياه الكنيسة الكاثوليكية. فإننا نؤمن بأن هذا الخبز بالذات هو جسد المسيح، وأن هذه الكأس بالذات هي دم المسيح، وذلك حقًّا لا رمزاً. ولكن كما أنّ الله في البدء أ خذ من تراب الأرض وكون الإنسان على صورته بدون أن يستطع أ حد القول إنه ليس بصورة الله - على الرغم من أنها ليست مدرَكة —، هكذا الأمر في ما يخصّ الخبز إذ يقال إنه جسده. ونحن نؤمن، على هذا الأساس، بأنه حقاً جسد المسيح. فقال لهم الشيخ: ما لم يقنعني الأمرُ نفسُه لن اقتنع تماما. فقالوا

له: فلنضرع إلى الله في شأن هذا السرّ طوال هذا الأسبوع، ونحن نؤمن بأن الله سيوحي به إليك. فتقبل الشيخ هذا الكلام فرحا، وتوسل إلى الله قال: ربي، أنت تعلم أنني إن كنت لا أومن، فعن غير خبث - لذا، ولكي لا أتيه في جهلي، أوح إليّ هذا السرّ، يا ربّي يسوع المسيح. وعاد الشيوخ إلى صومعتهم وتضرعوا هم أيضاً إلى الله، قالوا :يا ربنا يسوع المسيح، أوح إلى الشيخ هذا السرّ لكي يؤمن ولا يضيّع تعبه. وقد استجاب الله كلا الصلاتين: فلمّا انتهى الأسبوع جاءوا إلى الكنيسة يومَ الأحد وجلسوا ثلاثتهم على حصيرة واحدة والشيخ في الوسط. عندئذ انفتحت أعينهم: فلمّا وُضع الخبز على المائدة المقدسة، ظهر لهم الثلاثة وحدهم مثل طفل صغير. ولما مدّ الكاهن يده لكسر الخبز، إذا بملاك من عند الرب ينزل من السماء حاملا سيفاً ويذبح الطفل ويفرغ دمه في الكأس. ولمآ قطع الكاهن الخبز كِسَرًا صغيرة، قطع الملاك أيضًا الطفل قطعاً صغيرة. ولّما تقدّموا لتناول الشكلَين المقدّسين، تسلم الشيخ وحدَه قطعة من اللحم الدامي، وإذ رأى ذلك خاف وصاح: إني أومن، ربّي، بأن الخبز هو جسدك والكأس هي دمك. وفي الحال استحال اللحم

الذي كان في يده خبزا، بحسب السر، فأخذ وشكر الله. وقال له الشيخان: إنّ الله عليم بطبيعة البشر، وبأن ا لإنسان لا يستطع أكل اللحم نيئاً. لذا حوّل جسده إلى خبز ودمه إلى خمر للذين يتناولونه بالإيمان، وشكروا الله من أجل الشيخ لأنه لم يدعه يضيّع أتعابه، وعادوا ثلاثتهم إلى صومعتهم فرحين.

٤ - وقد روى الأنبا دانيال أيضاً أنّ شيخاً آخر جليلا، من القاطنين في مناطق مصر السفلى، كان يقول، ببساطة قلبه، إنّ ملكي صادق ابن الله. فلمّا أخبر كيرلس الطوباوي، رئيس أساقفة الإسكندرية، بذلك أرسل إليه أحدهم. وإذ علم أنّ ذاك الشيخ يجترح المعجزات وينال من

لدن الله كل ما يطلبه، وأنه لم يقُل ما قاله إلاّ عن بساطة قلبه، تصرّف بلباقة وقال له: بلباقة، رجوتك، إذ نفسي توحي لي بأن ملكي صادق هو ابن الله، في حين تقول لي فكرة مخالفة أن لا، فهو إنسان فقط، وعظيم كُهّان الله. ولما كنت مرتاباً مضطرباً من جرّاء هذه المسألة،

أرسلك إليك شخصاً لكي تضرع إلى الله ليلهمك ويبينّ لك حقيقة الأمر. فأحابه الشيخ ثابتاً واثقًا بقدرته: أعطني ثلاثة أيام، فأسأل الله عن هذا الموضوع وأقول لك ما يكون من أمره، فاختلى وتضرّع إلى الله في تلك المسألة، وبعد ثلاثة ايام قصد كيرلس الطوباوي وقال له إنّ

ملكي صادق هو بشر. فقال رئيس الأساقفة: كيف تعرف ذلك يا أبت؟ أجاب: لقد أراني الله جميع الآباء إذ مرّ كلٌّ منهم أمامي، من آدم حتى ملكي صادق. وقال لي ملاك الربّ: هذا ملكي صادق. لذا تيقّن أن هذه هي الحقيقة. ثم انصرف الشيخ وقد وعظ نفسه، وسُرَّ كيرلس

الطوباوي شديد السرور.

**الأنبا دِيُوسقُورس**

روى أن الأنبا ديوسقورس كان يبدأ، في مطلع كل سنة، بممارسة عمل فاضل جديد، فيقول: لن التقى أ حدا طوال هذا العام، أو: سو ف لا أكلم، أو: لن آكل طعاماً مطبوخاً، أو: لن آكل فاكهة أو خضرة. وفي كل عمل كان يتصرَّف على هذا النحو، وإذا ما أتمّ مرحلةً شرع في أخرى. وهكذا كان سلوكه في كل سنة.

**هـ**

**الأنبا هِلّادُس**

روي أن الأنبا هلادس قضى عشرين سنة في منطقة الصوامع بدون أن

يرفع عينيه إلى علُ ليرى سقف الكنيسة.

**الأنبا هيبريخيوس**

١ - قال الأنبا هيبريخيوس: من لا يسيطر على لسانه ساعة الغضب لن يسيطر على اهوائه.

٢ - وقال أيضاً: خير لنا أن نأكل اللحم ونشرب الخمر من أن نأكل لحم إخوتنا بالافتراءات.

٣ - وقال أيضاً: بالفحيح طَردت الحيةُ حواء من الفردوس. والذي يفتري الكذب على قريبه يشبهها، لأنه يهلك نفسَ من يستمع إليه ولا يخلص نفسه.

٤ - وقال أيضاً: إنّ كنز الراهب هو الفقر الاختياري. فاكنز لك، يا أخي، في السماء، لأن أجيال هذه الراحة لا حد ود لها.

٥ - وقال أيضاً: فكر دوماً في ملكوت السماء، وسرعان ما ترثه.

٦ -وقال أيضاً: الطاعة زينة الراهب. فمن امتلكها استجابه الله وحُقَّ له أن يقوم بثقةٍ إلى جانب المصلوب، لأنَّ الرب المصلوب صار مطيعاً حتّى الموت.

**ز**

**ا لأنبا زكريّا**

في ذات يوم قال الأنبا موسى للأخ زكريّا: قل لي ماذا عليَّ أن أفعل. فلما سمع زكريا هذا الكلام ارتمى عند قدمَي الشيخ وقال: أتسألني أنا، يا أبت؟ فأجابه الشيخ: صدقني يا زكريا، يا بني، لقد شاهدت الروح القدس يحل عليك، وهذا ما يضطرّني إلى سؤالك. عندئذٍ انتزع زكريا قلنسوته من رأسه، وجعلها تحت قدميه وداسها وهو يقول: وإن المرء الذ ي لا يقبل بأن يعامل على هذا النحو لا يستطيع أن يصبح راهباً.

**الأنبا زَينُون**

فيما كان الأنبا زينون يسير يوماً على الدرب في فلسطين، شعر بالتعب، فجلس بقرب نبتة خيار ليأكل، وقال في نفسه: خذ خيارة وكلها، فهذا بالحقيقة أمر لا يؤبه له في حساب. ولكنه أجاب نفسه قائلا: اللصوص يُقتادون إلى العقاب، فامتحن ذاتك لترى إن كنت تستطيع تحمُّل العقاب. فنهض وأقام خمسة أيّام تحت أشعة الشمس. ولما أخذت الحروق منه مأخذها، قال: لا أستطيع تحمل العقاب. ثم قال لفكره: ما دمتَ لا تستطيع تحمّل العقاب، فلا تسرق ولا تأكل.

**ط**

**الأنبا طيموثاوس**

سأل الأنبا طيموثاوس الكاهنُ الأنبا بيمين: إذ في مصر امرأة تقترف الزنا وتوزع جُعالتها حسنات. فأجابه الأنبا بيمين: لن تدوم في حالة الزنا، لأن ثمرة الإيمان ظاهرة فيها. واتّفق أنّ والدة طيموثاوس الكاهن جاءت تقابله، فسألها: هل مازالت تلك المرأة في الزنا؟ فأجابت:

أجل، وقد زادت عدد عشاقها، ولكن عدد حسناتها أيضاً فأَعلَمَ الأنبا طيموثاوس الأنبا بيمين بذلك، فأجابه: لن تدوم في الزنا. وجاءت والدة طيموثاوس تواجهه مرة ثانية فقالت له: أتدري أن تلك الخاطئة كانت تسعى إلى أن تأتي إليك

معي لتصلّي عليها؟ فلما سمع ذلك الكلام، أخبر به الأنبا بيمين، فقال له: بل اذهب أنت وقابلها. ولما رأته المرأة وسمعت منه كلام الله، ندمت شديد الندم وبكَت وقالت له: من اليوم وصاعدا سألزم الله، وأقصد أني لن أستسلم للزنا. ودخلت لساعتها أحد الاديرة وحسنت في عين الله.

## ي

## الأنبا يعقوب

قال الأنبا يعقوب: كما أنّ السراج ينشر الضوءَ في المكان المظلم، هكذا فإنّ مخافة الله، إذا ما دخلت قلب الإنسان، تنيره وتعلمه جميع الفضائل وجميع وصايا الله.

## الأنبا يوحنا تلميذ الأنبا بولس

روي أن الأنبا يوحنا، تلميذ الأنبا بولس، كان مطيعا كل الطاعة. وكان في بعض المناطق قبور تأوي إليها إحدى الضباع. واتفق أنّ الشيخ بولس أبصر في ذلك المكان خثي بقر، فطلب من يوحنا أن يذهب ويأتي به. فقال له يوحنا: وماذا أفعل يا أبتِ، بسبب الضبع؟ فأجابه الشيخ مازحاً: إن هاجمتك فأوثقها وأت بها إلى هنا. وفي المساء ذهب الأخ

إلى هناك، وإذا بالضبع تنقض عليه. أمّا هو، فعمل بكلام الشيخ وانطلق ليمسك بها. فهربت الضبع ولحق بها يوحنا وهو يقول: قال أبي إنّه ينبغي أن أمسك بك، فأمسك بها وأوثقها. أمّا الشيخ فكان منشغل البال، جالساً ينتظره. وإذا به يعود ومعه الضبع مربوطة. فلمّا أبصره الشيخ تملكه الإعجاب، ولكنه أراد أن يحقره، فضربه وقال: يا غبيّ، لقد جئتني هنا

بكلب غبيّ. وفك الشيخ رباط الضبع لساعته وأطلق سراحها.

## الأنا يوحنّا الطِيبيّ

روي عن يوحنا الطيبي الشاب، تلميذ الأنبا أمويه، أنه أمضى اثنتي عشرة سنة يخدم هذا الشيخ لمّا كان مريضاً. وكان يبقى جالساً معه على حصيرته. أمّا الشيخ فلم يكن ليعيره أي اهتمام، ومع أنه كان يجهد نفسه كثيراً في سبيله، أنه لم

يقل له قط: خلَّصك الله ولمّا أشرف على الموت وأحاط به الشيوخ، أ خذ بيد الشاب وقال له: خلصك الله، خلصك الله، خلصك الله! وأوصى به الشيوخ قال: هذا ملاك، لا إنسان

**الانبا يوحنا الفارسيّ**

١ -أخبر أحد ا لآباء أنّ محبة الأنبا يوحنا الفارسي أوصلته إلى براءة عظيمة جداً. كان يسكن عربية مصر، وفي ذات يوم استعار من أ حد الإخوة قطعة من الذهب واشترى كتاناً ليشتغل. فجاءه أحد الإخوة وسأله: يا أنبا، أعطني قليلا من الكتان لأخيط لي به قميصا. فأعطاه مسروراً. وكذلك جاء آخر وسأله: أعطني قليلا من الكتان لأعمل لي نسيجا. فأعطاه إياه أيضاً. وجاءه آخرون يسألونه أيضاً، فأعطاهم ببساطة وسرور. وبعد مدة من الزمن جاء صاحب القطعة النقدية يستعيدها. فقال له الشيخ: ها إني ذاهب وآتيك بها ولما لم يستطع إعادتها، ذهب إلى الأنبا يعقوب، صاحب الذياقونيّة، ليستعطيه قطعة كي يعيدها إلى الأخ. وفيما هو ذاهب وجد قطعة وقعت على الأرض، ولكنه لم يمسَّها. وصلى صلاة وعاد إلى صومعته. إلا أنّ الأخ جاء ثانية يزعجه بسبب القطعة، فقال له الشيخ: إني مهتم بالأمر كل الاهتمام. ثم ذهب مرة أخرى، فوجد القطعة على الأرض، حيث كانت، وصلى مرة جديدة وعاد إلى صومعته. وإذ بالأخ يعود فيزعجه على نحو ما فعل سابقاً. فقال له الشيخ: هذه المرة سأعيدها إليك بلا شك. وقام مجدداً وذهب إلى ذلك المكان فوجد فيه القطعة على الأرض ٠ وبعد أن صلى التقطها وجاء إلى الأنبا يعقوب وقال له: يا أنبا، فيما كنت اتيا إليك وجدت هذه القطعة في الطريق، فافعل لي فعل محبة وانشر الخبر بين الجيران لعلَّ أحدهم أضاعها، وإن وُجد صاحبها أعطه إياها. فأعلن الخبر مدة ثلاثة أقام، إلا أنهم لم يجدوا أ حدا أضاع قطعة نقود. عندئذ قال الشيخ للأنبا يعقوب: ما دام لمي يُضيعها أحد، فأعطلها الأخ فلان، لأني مدين له بها. ولقد ذهبت لأقبل منك حسنة وأعيد له حقه، فوجدتها. فتعجب الأنبا يعقوب لأنه، على ما كان عليه من دين حين وجدها، لم يلتقطها لتوه بغية أن يعطيها.

٢ - وممّا كان يدعو إلى التعجب أيضاً عنده، أنه إذا ما جاءه أ حدهم ليستعير منه شيئا، لم يكن يعطيه هو نفسه بل يقول للأخ: اذهب وخذ أنت نفسك ما تحتاج إليه. وعندما كانوا يعيدونه يقول: ضعه مكانه. وإن لم يعد المستعير الحاجة، لا يقول له شيئا.

## الأنبا يوحنّا قُولُوبُس

١ - حكي عن الأنبا يوحنا قولوبس أنه اعتزل في الإسقيط، عند شيخ من طيبة، وسكن الصحراء. فأخذ الأنبا معلمه عوداً يابسا وغرسه وقال له :عليك بسقيه كل يوم مقدار إبريق ماء حتى يأتي بثمر. وكان الماء بعيداً، ممّا يقتضي الذهاب مساءٍ والعودة صباحَ الغد. وبعد انقضاء ثلاث سنوات دبت الحياة في العود وأثمر ٠ فأخذ الشيخ من الثمر وحمله إلى الكنيسة

وقال للإخوة: خذوا، كلوا ثمر الطاعة.

٢ - روي عن الأنبا يوحنا قولوبس أنه في أحد الأيام قال لأخيه: أود أن أكون حراً من كل هم، كالملائكة، فهم لا يعملون بل يكرمون الله من دون انقطاع. ونزع رداءه وانطلق إلى البرية. وبعد مضّي أسبوع عاد إلى أخيه. فلما قرع الباب سمعه يقول له قبل أن يفتح: من أنت؟ قال: أنا يوحنا، أخوك فأجابه: لقد أصبح يوحنا ملاكاً ولم يعد بعد الآن بين البشر، فأخذ أخوه يتوسل إليه يقول: أنا هو لكنه لم يفتح له وتركه ينتحب حتى الصباح. ثم فتح له وقال: أنت بشر، وعليك أن تعمل مجدداً لتأكل، فانحنى أمامه وقال: سامحني.

٣ - كان من عادة الأنبا يوحنا قولوبس أن يقول: إذا أراد أحد الملوك أن يستولي على مدينة أعدائه، فإنه يبدأ فيقطع عليها الماء والمؤونة، وهكذا يموت الاعداء جوعا فيستسلمون له. وعلى هذا المنوال تجري الامور فيما يخص شهوات الجسد: فإذا ما عاش المرء في الصوم والجوع، ضعف أعداء روحه.

٤ - كان بعض الشيوخ في الإسقيط يرفهون عن أنفسهم فيأكلون معا، وكان بينهم الأنبا يوحنا فقام كاهن وقور يقدم الكأس للشراب، ولكنّ أحدا لم يقبلها منه، إلا يوحنا قولوبس وحده. لذا تعجبوا وقالوا له: كيف تجرأت، أنت أصغر الجميع سناً، وقبلت أن يخدمك الكاهن؟ فقال لهم :أنا، متى أقوم لتقديم الكأس، أسر إذا ما قبل الجميع لأني بذلك أنال أجري. فلهذا السبب قبلت، لكي يكسب هو أيضاً جزاءه، ولا يتحسر إذا رأى أحداً لم يقبل منه. فلما قال هذا، أعجب الجميع به كل الإعجاب، وكان لهم من تمييزه خير عبرة.

٥ - في ذات يوم، بينما كان جالساً أمام الكنيسة، أحاط به الإخوة وراحوا يسألونه في شأن ما يدور في نفوسهم من أفكار . فلما رأى ذلك أحد الشيوخ تملكه الحسد وقال له: يا يوحنا، إنّ إناءك مملوءٌ سماً. فأجابه الأنبا يوحنا: هذا عين الصواب، أيها الأنبا. ولقد قلت ما قلت

لأنك لم ترا إلا الخارج. ولكن لو رأيت الداخل، فماذا كنت تقول؟

٦ - جاء بعض الإخوة يوماً يختبروا ما إذا كان يطبق العنان لفكره ويتحدث بشؤون هذا العالم، فقالوا له: نحمد الله لأن هذه السنة كانت غزيرة الأمطار فاستطاع النخيل الارتواء وإطلاق براعمه، وسيتمكن الإخوة من إيجاد عمل يدوي يقومون به. فقال لهم الأنبا يوحنا: وهذا شأن الروح القدس لما يحل في قلوب البشر، فإنها تتجدد وتنبت أوراقاً في خشية الله.

٧ - قال الأنبا يوحنا: إنني شبيه بأمرىء جالس تحت شجرة كبيرة، فيرى الوحوش والثعابين تهاجمه بأعداد غفيرة. ولما لا يعود يستطيع مقاومتها يسرع ويتسلق الشجرة فينجو. وهكذا أنا: فإني جالس في صومعتي وأشاهد الأفكار الرديئة تهاجمني، وعندما لا يعود لي من قوة لمواجهتها ألوذ بالله عن طريق الصلاة فأنجو من العدوّ.

٨ – روى ا لأنبا بيمين أنّ الأنبا يوحنا قولوبس توسل إلى الله لكي ينزع منه أهواءه فيصبح حراً من كل هم وراح بعد ذلك يقول لأحد الشيوخ: أراني في راحة البال إذ ليس علّي من جهاد، فقال له الشيخ: اذهب وتوسّل إلى الله أن يفرض عليك الجهاد مجدداّ مع التواضع

اللذين كانا لك في ما مضى، لأنه بالجهاد والمحاربة تتقدم النفس، فتوسل إلى الله، ولما وافاه الجهاد لم يَدعُ لكي يبعد عنه، بل إنه قال: ربي، هبني القوة لأصبر على الجهاد.

٩ - قال الأنبا يوحنا: هوذا ما شاهده أ حد الشيوخ في انخطافٍ له، كان ثلاثة رهبان قائمين على شاطئ البحر، فأتاهم صوت من الجهة الأخرى يقول: خذوا أجنحة من نار وتعالوا هنا إلّي، فأخذ الاثنان الأوّلان أجنحة وطارا فوصلا إلى الشاطئ الآخر. أما الثالث فقد بقي حيث كان، يبكي بمرارة ويصرخ. إلا أنه أعطي في ما بعد جناحين، ولكنهما ليسا من نار بل جناحان ضعيفان لا حيل لهما، فراح طورا يغوص وطورا آخر يعوم، فاستطاع بعد جهد جهيد أن يدرك الشاطئ الثاني. وهذا هو شأن الجيل الحاضر: فهو وإن أعطي جناحين، إلا أنهما ليسا من نار، وجل ما يتلقاه جناحان ضعيفان لا حول لهما ولا قوة.

١٠ - في ذا ت يوم كان الأنبا يوحنا صاعدا من الإسقيط مع إخوة آخرين. فضل دليلهم الطريق لأن الوقت كان ليلا. فقال الإخوة للأنبا يوحنا: ماذا نفعل يا أنبا، لئلا نموت ونحن في تيهنا، فقد ضل أخونا الطريق؟ أجابهم الشيخ: إن كلمناه بذلك، سوف يمتلئ خزياً وحزناً. ولكن إليكم ما يلي: سأدعي أني مريض وأقول: لم أعد أقوى على السير، لذا سأبقى هنا حتى الفجر. وهكذا فعل. وقال الآخرون: ونحن أيضاً لا نتابع المسير بل نبقى معك. فقعدوا حتى الفجر، وهكذا لم يشككّوا أخاهم.

١١ - قال الأنبا يوحنا لتلميذه: فلنكرم واحداً، وسيكرمنا الجميع. أمّا إذا احتقرنا واحداً، وهو الله، فسيحتقرنا الجميع ونمضي إلى الهلاك.

١٢ - مر أحد الجمّالين يوماً بالأنبا يوحنا ليأخذ منه بعض الحاجات وينصرف بها. فدخل الأنبا صومعته ليأتي بما حاكه، ولكنه نسى الرجل لأن فكره كان مركزا في الله. فعاد الجمّال يزعجه ويقرع بابه، وعاد الأنبا يوحنا إلى داخل صومعته ونسي الأمر. ولما قرع الجمّال الباب مرةً ثالثة، عاد يوحنا إلى الداخل وهو يردد: حياكة، جَمَل، حياكة، جَمَل وكان يقول

ذلك ليكف عن النسيان.

١٣ - قال الأنبا يوحنا: أفضّل أن يكون للمرء حصّة صغيرة من جميع الفضائل. لذا، كلَّ يوم، انهض باكراً واكتسب بداية كل فضيلة وكل وصيّة من وصايا الله، متحلّيا بالصبر الشديد، والخشية وطول الأناة، وحبِّ الله بكلّ حرارة النفس والجسد، والكثير من التواضع، وتحمُّل أحزان القلب، والتيقُّظ، والصلاةِ الكثيرة مشفوعةٍ بالاحترام والتنهدات، عفّة اللسان وحفظ العينين، يحتقرونك ولا تغضب، تُسالم ولا تّردّ الشرّ بالشر. ولا تنتبه إلى أخطاء الآخرين من دون أن تقيس نفسك، أنت الذ ي هو أدنى من سائر الخلائق. عش في التجرد عن المادّة وما هو من الجسد، في الصليب، والجهاد، والفقر بالروح، في الإرادة الروحية وتقشُّف النفس، في الصوم والإماتة والدموع، في التمييز وطهارة النفس، ممسكاً بكل ما هو مفيد. تّمم عملك في الخشوع. واظب على السهر في الليالي، وعلى الجوع والعطش، والبرد والعري وعلى تحمُّل المشقات. أغلق قبرك كأنك ميت، فتفكر أنّ حتفك قريب في كل ساعة.

١٤ - روي عن الأنبا يوحنا ما يلي: توفي والدا إحدى الفتيات فأضحت يتيمة، وكان اسمها بابيشيا. وقررت أن تجعل من بيتها مضافة لصالح آباء الإسقيط، فاستضافتهم مدة طويلة وخدمتهم. إلا أنها، في ما بعد، تبددت أموالها، بدأت

تشكو العوز. فجاءها رجال أشرار وحوّلوها عن هدفها وشرعت تحيا حياة السوء، حش إنها توصلت أن تمارس البغاء. فلما

علم الآباء بالأمر، حزنوا جداً واتصلوا بالأنبا يوحنا قولوبس وقالوا له :علمنا أن هذه الأخت تعيش عيشة السوء، إلا أنها كانت تحسن إلينا عندما كان ذلك بوسعها. فالدور اليوم دورنا، وعلينا ان نرد لها الجميل والإحسان وننطلق لمساعدتها. فاذهب إذا عندها، وسوُّ شؤونها بحسب ما وهبك الله من حكمة. فذهب الأنبا يوحنا إليها وقال للبوابة: أعلمي سيدتك بمجيئي. ولكنها صدّته وقالت: أنتم منذ البداية أكلتم مالها، وهي الآن معدمة. فقال لها الأنبا يوحنا: قولي لها: لدي شيء سيكون لها جزيل النفع. فقال له أبناء البوابة هازئين: ماذا عندك لها فتبغي ملاقاتها؟ أجاب: ومن أين لكم أن تعرفوا ما أنوي أن أعطيها؟ ثم صعدت العجوز وخاطبت سيدتها في شأنه. فقالت لها المرأة: هؤلاء الرهبان يجوبون باستمرار منطقة البحر الأحمر ويعثرون على لآلئ، ثمّ تزينت وقالت لها: أرجوك أن تأتيني به. وفيما كان صاعدا، استبقته وتمددت على الفراش. فدخل الأنبا يوحنا وجلس بقربها، وحدق في عينيها وقال لها: ما عتبك على يسوع فوصلتِ إلى ما وصلتِ إليه؟ فلماّ سمعت هذا الكلام تشنجت أيَّما تشنج، أمّا الأنبا يوحنا فطأطأ رأسه وراح يبكي بكاء مرا. فسألته: لماذا تبكي يا أنبا؟ فرفع رأسه ثم حناه ثانيا وهو يبكي وقال: أرى الشيطان يلعب في وجهك، فكيف لا أبكي؟ فلمّا سمعت ذلك قالت له: هل من الممكن أن أكفّر عن خطيئتي، يا أبت؟ فأجابها أن نعم. قالت له: خذني حيثما أردت. قال لها: هلمي، وقامت ترافقه. ولاحظ الأنبا يوحنا أنها لم تقم بأي تدبير في شأن بيتها ولم تقل شيئا، فتعجب. ولما وصلوا إلى البرية، جنَ المساء، فصنع يوحنا من الرمل وسادة صغيرة ورسم عليها إشارة الصليب وقال للمرأة: أرقدي هنا. وفعل مثل ذلك لنفسه على مسافة قصيرة، وأنهى صلواته ورقد. وإذا به يستيقظ والليل في منتصفه، فشاهد طريقاً مستنيراً يمتدّ من السماء الى المرأة، ورأى ملائكة الله يأخذون روحها. فقام عندئذٍ ولمس رجلها، ولما تبين أنها ماتت، أكبّ على وجهه يتوسل إلى الله، فسمع صوتا يقول :ساعة واحدة من التوبة فادتها أكثر من توبة كثيرين يواظبون ولا يبدون مثل ما أبد ت من الهمّة في توبتها.

**ك**

**الأنبا كَسانتياس**

قال الأنبا كَسانتياس: كان اللص على الصليب، وبرر بكلمة واحدة. وبهوذا، الذي كان في عداد الرسل، أضاع في ليلة واحدة كل جهده وهبط من السماء إلى الجحيم ٠ وعليه فلا يفتخرن أحد بأعماله الصالحة، لأن جميع الذين أتكلوا على ذواتهم سقطوا

## ل

### الأنبا لُوقيوس

ذهب عدد من الرهبان المعروفين ب المصلين إلى الانبا لوقيوس، فسألهم الشيخ قال: ما هو عملكم اليدوي؟ فقالوا: إننا لا ننصرف إلى العمل اليدوي، بل نصلي بدون انقطاع، بحسب ما قاله الرسول. فسألهم الشيخ هلاّ يأكلون، فأجابوه: بلى. فقال لهم: عندما تأكلون، من ذا يصلي عنكم؟ ثم سألهم هلّا ينامون، فأجابوه: بلى. فقال لهم: عندما تنامون، من ذا الذي يصلي عنكم؟ إلا أنهم لم يجدوا ما يجيبونه به. فقال لهم: سامحوني، ولكنكم لا تعملون بحسب ما تقولون. وأنا أريكم أنني، بتتميمي عملي اليدوي، أ صلي بدون انقطاع. فإني أجلس مع الله وأبلُّ أليافي وأجدلها حبالا وأقول: إرحمني اللهم بحسب عظيم رحمتك، وبحسب كثرة مراحمك امحُ مآثمي. وعندئذ سألهم: أليس هذا صلاة؟ فأجابوا: بلى. ثم قال لهم: وعندما أمضي طوال نهاري في العمل والصلاة، وأجني ما يقارب ست عشرة قطعة من النقود، أضع اثنتين منها عند الباب وأقتات بالباقي. والذي يأخذ هاتين القطعتين يصلي من أجلي عندما آكل أو أنام. وهكذا، بنعمة الله، أتمم الوصية التي تدعونا إلى الصلاة بدون انقطاع.

### الأنبا لونجينُس

١ - في ذات يوم سأل الأنبا لونجينس الأنبا لوقيوس في ثلاث أفكار، قال: وأريد أن أغترب. فقال له الشيخ: إن لم تسيطر على لسانك، لن تكون غريبا، حيثما ذهبت. سيطر إذا على لسانك هنا وستكون غريباً. وقال له أيضاً: وأريد أن أصوم. فأجابه الشيخ: وقال أشعيا: لئن حنيت عنقك كالقيد والقصبة، فليس هذا بالصوم الذي أقبله. بل سيطر على أفكارك الرديئة. وقال له ثالثةً: وأريد أن أهرب من الناس. فأجابه الشيخ: إن لم تبدأ وتحي مستقيماً مع الناس، فلن تستطيع، وأنت في العزلة، أن تحيا مستقيما.

٢ - امرأة كانت تشكو في صدرها من مرض يدعى السرطان، فسمعت بالأنبا لونجينس وطلبت ملاقاته. وكان هو يسكن على بعد تسعة أميال من الإسكندرية. ولما راحت المرأة تبحث عنه، كان هذا الطوباوي يلتقط الحطب قرب البحر. فلما التقته، قالت له وهي تجهل أنه هو: ويا أنبا، أين يسكن الأنبا لونجينس خادم الله؟ فقال لها: ولم تبحثين عن هذا المنافق؟

لا تذهبي إليه، فإنه منافق. ماذا بك؟ فأرته المرأة داءَها. أما هو فعمل إشارة الصليب على الجرح وصرفها قال: اذهبي والله سيُبرئك، لأن لونجينس لا يستطيع أن يجديك نفعاً فانصرفت المرأة واثقة بتلك الكلمة وشفيت لساعتها. وفيما بعد، لما أخبرت سواها بالأمر وأشارت إلى علامات الشيخ الفارقة، علمت أنه هو الأنبا لونجينس.

٣ - مرة أخرى، حمل إليه بعض الناس رجلا فيه شيطان. فقال لهم: أنا لا أستطيع أن أفعل لكم شيئا، فاذهبوا إلى الأنبا زينون. وبعد ذلك أخذ الأنبا زينون يضغط على الشيطان ليخرجه، إلا أن الشيطان راح يصرخ :لعلّك تظّن، يا أنبا زينون، أنّي أنصرف بسببك، ولكن ها إنّ الأنبا لونجينس يصلى هناك ويستعيذ بالله منّي، وأنا أرحل خشيةً من صلواته ٠ أمّا أنت، فما كنت لأستجيب لك.

**م**

**الأنبا مَتْوى**

١ - قال الأنبا متوى: أفضل عملا خفيفا متواصلا على آخر ثقيل. منذ البداية ولكنه سرعان ما يتوقف.

٢ - وقال أيضا: بقدر ما يقترب المرء من الله يرى ذاته خاطئا. فإنّ أشعيا النبي، لما رأى الله، اعترف بانه حقير دنس.

٣ - وقال أيضا: إنما الشيطان لا يعرف بأي من الشهوات تقهر النفس .فيزرع، ولكن بدون أن يعلم إن كان سيحصد أم لا: تارة أفكار زنى، وطوراً أفكار نميمة، وهكذا دواليك لسائر الشهوات. والشهوة التي يرى النفس تنزلق نحوها، يغذّيها.

٤ - قال الأنبا متوى: جاءني أحد الإخوة وقال لي إذ النميمة شرٌّ من الزنى. فقلت له: هذا الكلام قاس. قال: ماذا تعنى بذلك؟ قلت: النميمة شر، ولكنّ الشفاء منها سريع، لأن النمّام كثيراً ما يتوب، ويقول إنه أساء في الكلام. أمّا الزنى فهو موت طبيعيّ.

٥ - ذهب الأنبا متوى في أحد الأيام إلى منطقة مجدلوس، وكان أخوه يرافقه. فأمسك به الأسقف ورسمه كاهناً ٠ وفيما كانوا يأكلون معا قال له الأسقف: سامحني أيها الأنبا، فإني عالم بأنك لم ترد ذلك، ولكنّني تجرأت على فعله

لأستطيع الحصول على بركتك. فقال له الشيخ بتواضع: لا شكّ في أنيّ لم أكن أرغب في الأمر، ولكنّي مغتمّ خاصةً لأني مضطرّ

إلى الافتراق عن الأخ الذي معي، لأني لا أقوى على القيام وحدي بكلّ الصلوات. فقال له الأسقف: إن كنتَ تعلم أنه مستأهل فأنا أرسمه. قال متوى: لا أعلم إن هو مستأهل، ولكن أعلم أمرا واحدا وهو أنه خيرٌ منّي. فرسمه الأسقف هو أيضاً. وماتا كلاهما بدون أن يقتربا من الهيكل للقيام بالتقدمة. وقال الشيخ: إنّي واثق بالله وأنه لن يكون الحكم علّي عظيماً بسبب وضع اليدين هذا إذ إنّي لا أقوم بالتقدمة، فوضع اليدين هو لمن لا غبار عليهم.

**الأنبا مرقس تلميذ الأنبا سِلو انُس**

١ - روي أته كان لأنبا سِلوانُس في ا لإسقيط تلميذ يدعى مرقس، عظيم الإطاعة. وكان خطاطاً. وكان الشيخ يحبه بسبب طاعته. وكان له أحد عشر تلميذاً آخرون سأبون لأته يفصله عليهم. فلما علم الشيوخ ذلك اغتمّوا، وجاؤوا مرة عنده ليعاتبوه. فاصطحابهم وراح يقرع أبواب جميع القلايات ويقول: أخي فلان، تعال إلى هنا لأنّي بحاجة إليك. ولكن أحداً منهم لم يتبعه لتوّه. ولما وصل إلى قلّاية مرقس قرع وقال: مرقس. أمّا هو، فما إن سمع صوت الشيخ حتى قفز لساعته إلى الخارج، وأرسله الشيخ في خدمة له. ثم قال للشيوخ: أين سائر الإخوة أيها الآباء؟ ودخل إلى قلّاية مرقس وتناول دفتره، فلاحظ أنه كان قد شرع بخطّ

حرف الأوميغا ولكنّه ٠لما سمع صوت الشيخ لم يكمل كتابته. عندئذ قال الشيوخ: حقاً، أيها الأنبا، إنّ الذي تحبه، نحبّه نحن أيضاً لأن الله يحبهّ.

٢ - نزلت أم الأنبا مرقس ذا ت يوم بكثير من الأبهة لتراه. فخرج كبير الشيوخ لمقابلتها، فقالت له: أيها الأنبا، قل لا بني أن يخرج لأراه. فدخل الشيخ وقال له: اخرج لتراك أمك وكان يرتدي ثياباً بالية وكله وسخ من جراء عمله في المطبخ. فخرج إذا لأجل الطاعة وأغمض عينيه وقال: سلام، سلام، سلام! ولم يشاهدهم قطّ. أمّا والدته فلم تعرفه

وأرسلت إلى الشيخ تقول له مرة ثانية: أيّها الأنبا، أرسل لي ابني حتّى أراه فقال الشيخ لمرقس: ألم أقل لك أن تخرج لتراك أمك؟ قال مرقس: لقد خرجت، أيها الأنبا، بحسب كلمتك. ومن الآن فصاعداً، أرجوك، لا تقل لي مرة ثانية أن أخرج، لكي لا أعصي أوامرك فخرج الشيخ وقال لامه: هو الذي جاء لملاقاتك وقال: سلام ثم شجعها وصرفها.

**الانبا مقّار المدنيّ**

ذهب الأنبا مقار ذات يوم عند الأنبا باخوميوس الطابنسي . فسأله باخوميوس: عندما لا يخضع بعض الإخوة للقانون، هل يصلح تأديبهم؟ فقال له الأنبا مقار: أدب بالعدل من يخضعون لك وحاكمهم، وما عدا هؤلاء، لا تحاكم أ حداً. فقد كتب: ألا يعود لكم أن

تحاكموا الذين هم من الداخل؟ أمّا الذين من الخارج، فالله يحاكمهم.

**الأنبا مقار المصريّ**

١ - روى الأنبا مقار، قال: لّما كنت شاباً وأسكن في صومعة، أخذوني ليجعلوني إكليريكيًّا في خدمة القرية. فلم أرد هذه المهمّة وهربت إلى مكا ن آخر حيث وافاني علمانيٌّ تقيّ. فأخذ على نفسه أعمالي اليدوية وخدمني. وحدث أذ إ حد ى العذارى سقطت تحت عبء التجربة وأخطأت. ولمّا حبلت سألوها من هو المذنب. فقالت: الناسك. عندئذ جاء أهل القرية وقبضوا علّي وعلَّقوا في عنقي طناجر سوَّدها الدخان، فضلاً عن أشياء أخرى، وسيَّروني في القرية بكامل أحيائها وهم يضربوني ويقولون: هذا الراهب دنَّس عذراءنا. خذوه، خذوه. وضربوني حتى كدت أموت. ثمّ جاء أ حد الشيوخ فقال: حتَّامَ تضربون هذا الراهب الغريب؟ وكان

خادمي يسير ورائي خجلا واجفاً إذ كانوا ينهالون عليه بالسباب وهم يقولون: أنظر ما فعله هذا الناسك الذي كنت له ضامنّا. وكان أهل الفتاة يقولون: لا ندعه يذهب قبل أن يضمن أنه سيطعمها. فكلَّمتُ الذي يخدمني فضمنني. وذهبت إلى صومعتي وأعطيته جميع سلالي

وقلت: بعها وأطعم امرأتي. ورحت أقول في نفسي: يا مقّار، ها قد وجدت لنفسك امرأة، فعليك. أن تزيد قليلا من عملك لتطعمها. وكنت أعمل ليل نهار وأرسل لها ثمر عملي. ولكن لمّا حان وقت ولادة تلك التعيسة، ظلَّت أياماً طويلة في المخاض وهي لا تستطيع وضع الولد. فقيل لها: ما هذا؟ قالت: أنا أعرف السبب، فذلك لأني وشيت بالناسك وكذبت وشكيته. ليس هو المذنب بل الشاب فلان. عندئذ جاء خادمي مسرعاً فرحا وقال لي: إنّ العذراء هذه لم تستطيع أن تضع حملها حتى اعترفت بأنه. ليس للناسك في الأمر يد، بل إني كذبت في حقه وها إنّ القرية جميعها تريد أن تأتي إلى هنا باحتفال لتسألك المغفرة. أمّا أنا، فلماّ

سمعت ذلك، خشيت أن ينغصُّ الناسُ عيشي، فنهضت وهربت إلى هنا في الإسقيط. ذلك هو سبب مجيئي إلى هذا المكان.

٢ - روى الأنبا سِسوى ما يلي: لمكنت في الإسقيط برفقة مقار، صعدنا معه لنقوم بالحصاد، وكنّا سبعة. وإذا بأرملة تلتقط الحبوب وراءنا ولا تنفث تبكي. فدعا الشيخ صاحب الحقل وقال له: ما بال هذه المرأة تبكي ولا تهدأ؟ قال له:

لأن زوجها اقتبل أمانة من أ حدهم ومات فجأ، بدون أن يقول أين خبأها، وصاحب الأمانة يريد أن يأخذ المرأة وأولادها ويسترقَّهم . فقال له الشيخ: قل لها توافينا حيث نستريح وقت الظهيرة. فجاءت المرأة وقال لها الشيخ: لماذا تبكين هكذا طوال الوقت؟ أجابت: إنّ زوجي سُلِّم أمانة ومات، ولم يقل ساعة وفاته أين وضعها. فقال لها الشيخ: هلمّي وأرشديني إلى حيث دفنته. واستصحب الإخوة وانطلق

معها. ولمّا أفضوا إلى المكان قال لها الشيخ: انصرفي إلى بيتك. وفيما كان الإخوة يصلون، سأل الشيح الميت: يا فلان، أين وضمك الوديعة؟ أجاب: إنّها مخبأة في بيتي، تحت السرير. فقال له الشيخ: عُد إلى راحتك حتى يوم القيامة. ولمّا رأى الإخوة هذا الأمر اعتراهم الخوف وارتم واعند قدميه. إلا أنّ الشيخ قال لهم: لم يتم ذلك لأجلي، لأني لست بشيء، بل لقد صنع الله هذه الاعجوبة لأجل الارملة واليتامى. والجدير بالملاحظة أنّ الله يريد النفس بدون خطيئة، وهو يمنحها كلَّ ما تطلبه. ثم ذهب عند الأرملة وأخبرها أين كانت الوديعة، فأخذتها وأعادتها إلى صاحبها وأعتقت أولادها. وجميع الذين علموا بالأمر مجّدوا الله.

٣ - رؤي في الأنبا مقّار أنه كان، إذا ما روَّح عن نفسه مع الإخوة، يتَّبع القاعدة الآتية: إن كان ثمة خمر، فاشرب منه بسبب الإخوة، ولكن في مقابل كل كأس من الخمر ابقَ يوماً بدون شرب ماء. وكان الإخوة، رغبةً منهم في إراحته، يقدمون له الخمر، والشيخ يقبله فرحاً للتقشّف والإماتة. إلا أن تلميذه علم بالأمر، فقال للإخوة: أستحلفكم بالرب، كفُّوا عن تقديم

الخمر، وإلا قضى على نفسه في صومعته. فلما علم الإخوة ذلك كفُّوا.

٤ - كان الأنبا مقّار ذاهباً في أحد الأيام من المستنقع إلى صومعته حاملا سُعُفاً من النخل، فالتقى الشيطان وفي يده منجلٌ كبير. وإذ حاول إبليس أن يضربه يه ولم يفلح، قال له: أي قوة تخرج منك، يا مقّار، لأني عاجز أمامك؟ فكل ما تقوم به أقوم به أنا أيضاً: فأنت تصوم، وأنا لا آكل شيئاً. أنت تسهر، وأنا لا يغمض لي جفن. لا تتغلب عليَّ إلا في أمر واحد. فسأله مقّار ما هو. قال: تواضعك. فبسببه لا أقوى عليك بشيء.

٥ – سأل بعض الآباء الأنبا مقار المصريّ، قالوا: ما السرُّ في جسمك، فسواء أكلك أو صمتَ، يظلّ نحيلا؟ قال لهم الشيخ: إن قطعة ا الخشب التي نحرّك بها الجفنات التي تحترق، تذيبها النار في النهاية. وكذلك فإذا ما طهر المرء نفسه بخشية الله، فخشية الله تذيب جسده.

٦ - دأب الأنبا مقّار العظيم يقول للإخوة في الإسقيط عندما يصرف الجماعة: اهربوا يا إخوتي. فسأله أحد الشيوخ: إلى أين يمكننا الهرب من بعد هذه البرية؟ أما هو، فوضع إصبعه على فمه وقال: اهربوا من هذا. وكان يدخل صومعته ويغلق الباب ويجلس.

٧ -وقال الأنبا مقّار نفسه: إن كنت توبخ أ حداً وجعلت. الغضب يستحوذ عليك، فإنك تشفي هواك. لذا، لا تهلك نفسك لتخلّص سواك.

٨ – لمّا كان الأنبا مقار في مصر، صادف رجلا يسلبه ما له ويحمّله على دابّة ٠ فتقدم من السارق وكأنه غريب، وساعده في تحميل الدابة وودعه بكل طمأنينة وقال: لم نأتِ إلى العالم بشيء، لذا لا نستطع أن نأخذ شيئاً. الرب أعطى، فليكن بحسب ما يُريد. وليتبارك الرب في كل شيء.

٩ - قصد أحد الاخوة يوماً الأنبا مقار المصري وقال له: أيّها الأنبا، قل لي كلمة حتّى أخلص. فقال له الشيخ: اذهب إلى المقبرة وسبَّ الأموات. فذهب الأخ وسبَّ الأموات ورشقهم بالحجارة، ثم عاد إلى الشيخ يخبره. فقال له مقّار: ألم يقولوا لك شيئا؟ أجاب: كلا. قال له الشيخ: اذهب غداً وبادرهم بالمديح. فذهب الأخ ومدحهم، قال: أيها الرسل القديسون الأبرار، ورجع عند الشيخ وقال له: لقد خاطبتهم بجميل الكلام. فقال له الشيخ: لم يجيبوك بشيء؟ قال: كلا. قال له الشيخ: تعلم ما وجَّهت إليهم من السباب بدون أن يجيبوك، وما

اسبغت عليهم من المديح بدون أن يخاطبوك. وهكذا فأنت أيضاً، إن أردت أن تخلص، صِر ميتاً، وتصرف كالموتى، ولا تحسب لازدراء الناس أو مديحهم حساباً، فتستطيع إذ ذاك أن تؤمّن خلاصك.

١٠ - روى الأنبا بطيميوس أنّ الأنبا مقّار أخبر ما يلي: لما كنت في الإسقيط، وفَدَ علّي اثنان غريبان، أحدهما له لحية والثاني آخذةٌ لحيته بالظهور. فجاءا إلى قائلين: أين صومعة الأنبا مقار؟ فقلت لهما: ماذا تريدان منه؟ أجابا: لقد سمعنا عنه وعن الإسقيط، فجئنا نراه. فقلت

لهما: أنا هو. عندئذٍ سجدا أمامي وقالا: نريد البقاء هنا. فلما رأى أنّهما مُرفَّهين قد رَبيا في الثراء، قال لهما: لا تستطيعان المكوث هنا. فقال الأكبر: إن كنا لا نستطع المكوث هنا، سنذهب إلى مكان آخر .عندئذ قلت في نفسي: لم طردهما، وبالتالي تشكيكهما؟ إن المشقة

كفيلة بأن تدعهما يذهبان من تلقاء نفسيهما. فقلت لهما: تعاليا، واصنعا لكما صومعة، إن كنتما تستطيعان. قالا: دُلنا على مكان وسنصنعها. فأعطاهما الشيخ فأسا وسلّة مملوءةً خبزاً وملحاً، وأراهما جلموداً من الصخر وقال: انقبا هنا، واحملا حطباً من المستنقع، واصنعا

سقفاً واسكنا في ذاك المكان وأضاف: ظننت أنهما سيؤثران الانصراف بسبب المشقة، ولكنهما سألاني ما العمل الذي سيقومان به هنا. أجبتهما: ستصنعان حبالا، ثم تناولت أوراقا من المستنقع، وبينت لهما مبادئ الحياكة وكيف تكون الخياطة، وقلت لهما: اصنعا سلالا وسلِّماها إلى الحراس وهم يأتونكما بالخبز. ثم انصرفت. فما كان منهما إلا أن فعلا بصبر كل ما قلته لهما، وطوال ثلاث سنوات لم يأتيا عندي. وبقيت أصارع أفكاري وأقول: ما تُرى يكون عملهما حتّى لا يأتيا للسؤال في شأن أفكارهما؟ فالذين يسكنون بعيدا يأتون لمشاهدتي، وهما، على قربهما مني، لا يأتيان، وكذلك لا يذهبان عند الآخرين. فهما لا يذهبان إلا إلى الكنيسة، ولكن بالصمت، لتناول التقدمة. ورحت أضرع إلى الله، صائماً طوال الأسبوع، ليريني ما يفعلان. وفي نهاية الأسبوع نهضت وقصدتهما لأرى كيف يعيشان ٠ فلما قرعت الباب فتحا وألقيا التحية صامتين. وبعد أن قمت بالصلاة، جلست. فأشار الأكبر إلى الأصغر

بالخروج وجلس يجدل حبلا ولا ينبس بكلمة. وفي الساعة التاسعة صفق فعاد الأصغر وأصلح قليلا من الحساء، وبعد أن أشار إليه الأكبر أعد السماط. ثم وضع ثلاثة أرغفة صغيرة وبقي قائماً صامتاً. فقلت أنا: قوما لنأكل. وقمنا لنأكل، وأتى بقربةٍ صغيرة فشربنا. ولمّا حان المساء قالا لي: هل ترحل؟، قلت: بل أنام هنا. فهيئا لي حصيرة في احدى الجهات،

وحصيرة لهما في الزاوية المقابلة، ونزعا منطقتيهما وقلنسوتيهما وتمدَّدا معاً على الحصيرة المقابلة ٠ ولمّا استكانا، ضرعت إلى الله لكي يبين لي عملهما. فانقشع السقف وسطع نور كأنه نور النهار، إلا أنهما لم يشاهدا النور. ولما خيل إليهما أنني أخلدت إلى النوم، غمرَ الأكبر الأصغر في جنبه فنهضا وتمنطقا ورفعا أيديهما نحو السماء ٠ وكنت أراهما ، أما هما فلا يرياني . ورأيت الشياطين تحوم، لكأنها الذباب، حول الأصغر، فتحط بعضها على فمه وبعضُها الآخر على عينيه. ورأيت ملاك الرب يدور حوله بسيف من نار ويطرد الشياطين بعيدا عنه. إلا أنها لم تسطع الاقتراب من الأكبر. ولما بانت طلائع الصبح عادا إلى فراشهما، فتظاهرت أنا بالاستيقاظ لتوّي، وهما فعلا مثلي. وقال لي الأكبر المقولة الوحيدة هذه :أتريد أن نتلو المزامير الاثني عشر؟ فقلت له: أجل. فأنشد الأصغر خمسة مزامير مجزأة، كل جزء بست آيات وهللويا، ولدى كل آية كان يخرج من فمه لسان من نار ويصعد إلى السماء. وكذلك، لما فتح الأكبر فاه ليرتل، خرج منه ما يشبه حبلا من نار وصعد حتى السماء. ورتلتُ بدوري بعضاً منها عن ظهر القلب. ولما خرجتُ قلت: تضرَّعا لأجلي.

أمّا هما فانحنيا ولم يتفوّها بكلمة. وعلمتُ هكذا أنّ الأول كان رجلاً كاملاً، في حين كان العدو لا يزال يصارع الأصغر. وبعد بضعة أيام رقد الأكبر، ثم بعد ثلاثة أيام رقد الأصغر ولما كان بعض الآباء يزورون الأنبا مقار، كان يقودهم إلى صومعتهما ويقول: تعالوا شاهدوا استشهاد الشابيَّن الغريبين.

١١ - سأل الشيوخ الأنبا مقار أن يقول كلمة للإخوة، فقال: فلنبكِ يا إخوة، ولتنزف عيونُنا الدموعَ قبل أن نذهب إلى حيث تحرق دموعُنا أجسادنا. وبكوا جميعا وأكبّوا على وجوههم قائلين: يا أبانا، تضرع لأجلنا.

١٢ - قال الأنبا مقار: إن حفظنا ذكرى إساءات الناس إلينا قضينا على قوة ذكرى الله. ولكن إن تذكرنا شرور الشياطين أصبحنا معصومين عن الإصابات.

**الأنبا مُوتِيُوس**

سأل أحد الإخوة الأنبا موتيوس قال: إن ذهبت لأقيم في بعض الأمكنة، فكيف تريدني أن أعيش فيه؟ أجابه الشيخ: إن أقمت في مكان ما، فلا تسع إلى أن تشتهر في أمر من الأمور أي كان، كأن تقول :لا أذهب إلى لقاء الجماعة، أو: لا آكل في أثناء اللقاءات الأخوية. لأن

هذه الأمور تصنع لك شهرةً فارغةً فتكون بعدها في اضطراب. والناس يتهاتفون حيث يجدون تلك العادات.

**الأنبا موسى**

١ - حد ث أنّ الأنبا موسى اضطر إلى مجابهة تجربة. قاسية من تجارب الزنى. ولمّا لم يعد يجد للبقاء في صومعته سبيلاً ولا حيلة، ذهب وفاتح الأنبا إيسِيذُورُس بأمره، فحثّه الشيخ على العودة إلى صومعته. ولكنه أبى وقال: لا أستطع أيها الأنبا. عندئذ اصطحبه إلى السطح وقال له: أنظر من جهة المغيب. فنظر ورأى عدنا كبيرا من الأبالسة في هرج ومرج قبل

القتال. ثم قال له الأنبا إيسِيذُورُس: أنظر من جهة الشروق. فالتفت ورأى عدداً لا يحصى من الملائكة القديسين يشعون مجداً. وقال الأنبا إيسِيذُورُس: أنظر، هؤلاء أرسلهم الرب إلى القديسين لينجدوهم، أما الذين هم إلى المغيب فإنهم الذين يقاتلونهم. والذين معنا أكثر عدداً.

فشكر الأنبا موسى الله وعاد إلى صومعته.

٢ - اقترف أحدُ الإخوة في الإسقيط خطأ، فعقد مجلس شُورى دُعي إليه الأنبا موسى. ولكنه أبى الذهاب إليه. عندئذ أرسل الكاهن ض يقول له: تعال، فالجميع بانتظارك. عندئذ قام وذهب، وأخذ سله مثقوبة فملأها رملاً وحملها معه.

ولما خرج الآخرون للقائه قالوا له: أبت، ما هذا؟ قال لهم الشيخ: خطاياي تنساب ورائي فلا أراها، وها أندا آتي اليوم لأحكم في خطأ سواي. فلما سمعوا ذلك لم يقولوا للأخ شيئا، بل سامحوه.

٣ - في يوم آخر، إذ كان الآباء مجتمعين في الإسقيط للتشاور، أرادوا أن يمتحنوه، فعاملوه بازدراء وقالوا: لماذا يأتي هذا الحبشي بيننا؟ فسمع ذلك ولزم الصمت. ولمّا ارفضّ المجلس قالوا له: أيها الأنبا، ألم يزعجك ذلك قط؟ فقال لهم لقد انزعجت ولكني لزمت الصمت.

٤ - قيل إنه لما أصبح الأنبا موسى إكليريكيًّا ووشَّحوه بالأفود وهو ثوب طقسيّ، قال له الأسقف: يا أنبا موسى، ها قد صرت أبيض بكليتّك .فقال له الشيخ: هل هذا حق خارجا، سيدي البابا، أم داخلا أيضاً؟ وأراد الأسقف أن يمتحنه، فقال للإكليريكيّين: لدى دخول الأنبا موسى الهيكل، اطردوه والحقوا به لتسمعوا ما سيقول. فدخل الشيخ وانهالوا عليه باللوم والتوبيخ وطردوه وقالوا: أخرج أيها الحبشي. فخرج وهو يخاطب نفسه ويقول: حسناً فعلوا معك، أنت الذي جلده بلون الرماد أسود. ولست بإنسان، فلم تأتي بين الناس؟

٥ - في ذات مرة عمّموا في الإسقيط هذه الوصيّة: صوموا هذ ا الأسبوع. وحدث إن الإخوة جاءوا من مصر عند الأنبا موسى، فأصلح لهم بعض الطعام. ورأى الجيران دخاناً فقالوا لرجال الإكليروس: ها إنّ موسى قد خالف الوصية وأعدّ لنفسه طعاماً. فأجابوهم: عندما يأتي، سوف نكلمه نحن ولمّا كان يوم السبت، وكان الإكليريكيون يعرفون طريقة عيش الأنبا موسى المميَّزة، قالوا له أمام الجميع: يا أنبا موسى، لقد نقضت وصية البشر ولكنك أتممت وصية الله.

٦ - قصد أ حد الإخوة الأنبا موسى في الإسقيط وسأله كلمة. فقال له الشيخ: اذهب، واقعد في صومعتك، وصومعتك تعلمك كل شيء.

٧ - سمع رئيس المنطقة يوئماً بالأنبا موسى وجاء إلى الإسقيط ليراه. فأخبر الشيخ بذلك، فنهض وهرب إلى المستنقع. والتقاه جماعةُ الرئيس وقالوا له: قل لنا، أيّها الشيخ، أين صومعة الأنبا موسى. فقال لهم: ماذا تريدون منه؟ إنه إنسان بسيط ضعيف الفهم. وذهب الرئيس إلى الكنيسة وقال للإكليريكيّين: سمعتُ بالأنبا موسى ونزت لمشاهدته، وإذا بشيخ ذاهب إلى مصر يلتقينا، فسألناه أين صومعة الأنبا موسى، فأجاب: ماذا تريدون منه؟ إنه بسيط ضعيف الفهم، فلما سمع الإكليريكيون هذا الكلام حزنوا وقالوا: كيف كان ذاك الشيخ الذي كلَّمكم على هذا النحو في حق القديس؟ قالوا: هو شيخ يرتدي ثيابا قديمة، طويل القامة

أسود. فقالوا: إنه هو الأنبا موسى، وأنما قال لكم هذا لئلاّ يقابلكم .فتأثر رئيس المنطقة كل التأثر وقفل راجعاً.

٨ - كان الأنبا موسى يقول وهو في الإسقيط: إن حفظنا وصايا آبائنا، أنا أضمن لكم باسم الله أنّ البرابرة لن يأتوا إلى هنا. أمّا إن لم نحفظ وصايا الله، فسيجتاح هذا المكان.

**الأنبا مِيلاسِيُوس**

١ فيما كان الأنبا مِيلاسِيُوس يجتاز مكاناً شاهد راهبا قُبض عليه بحجة أنه اقترف جريمة. فاقترب الشيخ واستجوب الأخ، وإذ علم أنهم اتهموه زورا، قال لآسريه: أين الرجل المقتول؟ فأروه إيّاه. فاقترب من الميت وطلب إلى الجميع أن يصتوا، وفيما كان هو نفسه رافعا يديه إلى الله، نهض الميت. فقال له أمام الجميع: قل لنا من قتلك. قال: دخلت إلى الكنيسة وأعطيتُ الكاهن مالاً، فقام وقتلني ثم حملني ورماني في دير الأنبا. لذا أتوسّل إليكم أن تأخذوا المال وتعطوه أولادي. عندئذ قال له الشيخ: اذهب واسترح إلى أن يأتي الرب ويوقظك.

٢ - في مرة اخرى، حين كان يقيم مع اثنين من تلاميذه في تخوم فارس حدث أن انطلق اثنان من أبناء الملك، وهما شقيقان، في رحلة صيد .وبحسب العادة نصبا شباكاً على مساحة كبيرة، لعلّها قاربت أربعين ميلاً، لكي يصيدا بالنبال كلُ ما يقع في تلك الشباك. وصادف أنّ الشيخ وتلميذيه كانوا فيها. فلما شاهده الأميران مكسوًّا بالشعر وأشبه بالمتوحشين، صعقا وقالا له: قل لنا، هل أنت أنسٌ أم جنّ؟ قال لهما: أنا إنسان خاطئ، خرجت لأبكي خطاياي. وإني أعبد يسوع المسيح، ابن الله الحيّ. قالا له: لا إله الا الشمس والنار والماء وكانا يعبدانها. لذا هيّا وقدِّم نبي ذبحة إكراماً لها. قال لهما: إنها خلائق، وأنتما على ضلال. ولكني أحثّكما على التوبة وعلى الاعتراف بالإله الحق، خالق جميع هذه الأشياء. قالا له: أتقول إنّ الذ ي حكم عليه وصلب هو الإله الحق؟ فقال الشيخ: هذا الذي صلب الخطيئة وقتل الموت إيّاه أعبد، وأقول إنه هو الإله الحق. بيد أنهما نكّلا به وبالأخوين ليحملاهم على تقديم الذبيحة، وبعد عذابات طويلة قطعا رأسي الأخوين. أمّا الشيخ فعذباه طوال أيام كثيرة، وفي النهاية استعملا طريقتهما في الصيد فجعلاه بينهما وراحا يرشقانه بالنبال، أحدهما من الأمام والآخر من الوراء. أمّا هو فقال لهما: ما دمتما اتفقتما على سفك دم بريء، ففي مثل هذه الساعة من غد، وفى الوقت نفسه، لن تعودا لامّكما ولَدَين، وستفتقد حبكما، وبسهامكما بالذات، ستهدران كل منكما دم الآخر. فاستهزئا بكلامه وذهبا في الغد إلى القنص، وإذ بأيّل يطفر قربهما، فامتطيا جواديهما وتعقّباه مسرعين ورمى كل منهما رمحه في اتجاهه، فأصاب كل من الأخوين قلب أخيه بحسب كلمة الشيخ التي قالها وهو يرشقهما باللعنة.

وماتا.

**الانبا مِيُوس**

١ - قال الانبا ميوس - هذا الذي من بيلوس: الطاعة تستجيب الطاعة. فإن أطاع أحد الله، استجاب الله طلبه.

٢ - وقال أيضا في شأن شيخ أنه كان يعيش في الإسقيط، وكان قبل عبداً، وقد أعطي موهبة التمييز إلى حدٍ بعيد. فإنه كان في كل سنة يذهب إلى الإسكندرية يحمل أجرته إلى أسياده. وكان هؤلاء يخرجون للقائه باحترام عظيم، ولكنّ الشيخ كان يضع ماءً في طستٍ ويحمله

ليغسل أرجلهم. وكانوا يقولون له: لا، يا أبانا، لا ترهقنا بذلك. أمّا هو فيقول: إني أعترف بأني عبدكم، وإني مدين لكم بأنكم تركتموني حراً لأخدم الله. ولذلك أغسل أرجلكم وأسالكم أن تقبلوا أجرتي هذه. ولمّا كانوا يرفضون قبولها، كان يقول: إن رفضتم قبولها سأبقى هنا

لأخدمكم. وإذ كانوا يجلونه، كانوا يتركونه يفعل ما يشاء، ثم يصطحبونه مزوّدينه بالمواد والنقود لكي يستطيع أن يتصدق عنهم. ولهذا السبب ذاع صيته في الإسقيط.

**ن**

**الأنبا نِتْرا**

مما روي في شأن الأنبا نِتْرا، تلميذ الأنبا سلوانس، أنه لما كان يقيم في صومعته على جبل سيناء، كان يقود نفسه باعتدال في ما يعود إلى حاجات جسده. ولكن لما أصبح مطران فاران، أ جهد نفسه بالغ الإجهاد بالتقشف. فقال له تلميذه: أيها الأنبا، لما كنا في البرية، لم تمارس مثل هذا التقشف. قال له الشيخ: هناك كانت البرية، وكان السلام والفقر، وكنت أريد قيادة جسدي على نحو لا أمرض من جرّائه ولا أسعى إلى ما ليس عندي. أمّا الآن، فثمّة العالم ومغرياته، وهَبْ أنني مرضت هنا، فسوف أ جد من يستقبلني، لكي لا أهدم الراهب.

**الأنبا نِسثِرُس القِلّاويّ**

١ - قال الأنبا بيمين في كلامه على الأنبا نِسثِرُس إنه كان أشبه بحيّة النحاس التي صنعها موسى لشفاء الشعب. فإنّه كان يملك كلّ القوى، ومن دون أن يتكلم كان يشفي جميع الناس.

٢ - لما علم الأنبا بيمين بما كان من أمر الأنبا نِسثِرُس، سأله يوما: من أين لك تلك القدرة التي تجعلك، إذا ما حصل موضوع اضطراب في الجماعة، لا تقول شيئا ولا تتدخل؟ وبعد أن ألح بالسؤال، أجابه نِسثِرُس: سامحني أيها الأنبا. لما جئت إلى الجماعة، قلت في نفسي: أنت والحما ر واحد. كما أن الحمار، إذا ما ضربوه صمت، وإذا ما سبّوه لا يجيب، فهكذا يكون أمرك . وبحسب ما قاله صاحب المزمور: أصبحت كالدابّة قربك وسأبقى دوماً معك.

**الأنبا نِسثِرُووُس**

١ - كان الأنبا نِسثِرُووُس الكبير يسير في البرية ومعه أحد الإخوة .وحدث أن شاهدا تنّيناً فهربا. فقال له الأخ: أنت أيضاً تخاف، يا أبت؟ قال له الشيخ: لست أخاف، يا ولدي، ولكن كان ينبغي أن أهرب لئلا أُضطرَّ إلى الهرب من المجد الباطل.

٢ - سأل أ حد الإخوة شيخا قال: اي عمل صالح ينبغي أن أعمله لأحيا منه؟ فقال الشيخ: الله يعلم ما هو صالح. ولكني سمعت أنّ أحد الآباء سأل الأنبا نِسثِرُووُس الكبير، صديق الأنبا أنطونيوس، وقال له: ما هو العمل الصالح الذي أستطيع أن أقوم به؟ فقال له: أليست جميع الأعمال متساوية؟ فالكتاب يقول إنّ إبراهيم كان مضيافاً وكان الله معه، وإيليا كان يحب السلام الباطن وكان الله معه، وداوود كان متواضعاً وكان الله معه. فما ترى إذاً أنّ نفسك تشتهيه بحسب الله، فافعله واحفظ قلبك.

**الأنبا نِيقُون**

سأل أ حد الإخوة أبا من الآباء، قال: كيف يزين الشيطان تجاربه للقديسين؟ فقال له الشيخ: كان أ حد الآباء، ويدعى نِيقُون، يقيم على جبل سيناء. وحدث أنّ أمرؤ ذهب إلى خباء أحد الفرانين فوجد ابنته وحدها وزنى معها، ثم قال لها: ستقولين إنّ الذي فعل بك ذلك

إنّما هو الناسك، الأنبا نِيقُون. ولما جاء والدها وعلم بالأمر أ خذ سيفه ونزل عند الشيخ. وما إن شرع يقرع الباب حتى خرج الشيخ، وفيما كان يستل سيفه ليقتله شُلَّت يده. فذهب الفاراني إلى الكنيسة وكلم الكهنة. فاستدعوا الشيخ، ولما وصل أوسعوه ضربا وهمّوا بطرده، ولكنه توسل إليهم، قال: بالله عليكم، دعوني أمكث هنا لأكفِّر. فأبقوه معزولاً طوال ثلاث سنوات وأمروا بألا يأتيه أحد. وأمضى سنوات ثلاثاً يأتي في كل يوم أ حد إلى الكنيسة يكفر ويتوسَّل إلى الجميع ويقول: تضرَّعوا لأجلي. أما الذي اقرف الجريمة ورشق بها الناسك، فسكنه الشيطان فيما بعد وأقرّ في الكنيسة بفعله، قال: أنا الذي اقترف الذنب وطلب أن يتهم خادم الله زورا. عندئذ ذهب الجمهور جميعا يعلن توبته

أمام الشيخ وقالوا: سامحنا أيها الأنبا. فقال لهم: أمّا في شأن المسامحة، فأنتم مسامحون. وأما في شأن بقائي، فلن أبقى هنا معكم بعد اليوم، لأنه لم يوجد فيكم واحد من ذوي التمييز ليشاركني معاناتي ثم ابتعد عن المكان هذا. وقال الشيخ: أترى كيف يزيّن الشيطان تجاربه للقديسين؟

**الأنبا نيقيتا**

روى الأنبا نيقيتا أن أخوين التقيا بغية السكنى معا. فقال الأول في نفسه: إن رغب أخي في شيء، فعلتُه. وفكر الثاني كما فكر الأول: سأفعل مشيئة أخي. وعاشا سنين كثيرة في محبة عظيمة. فلما رأى العدوّ ذلك، انطلق ليفرق بينهما، ووقف عند مدخل الصومعة يظهر

لأحدهما بصورة حمامة وللثاني بصورة غراب. فقال الأول: هل ترى هذه الحمامة الصغيرة؟ قال الآخر: إنه غراب وشرعا يتجادلان ويناقض أحدهما الآخر، ثم نهضا وبدأ. يتشاجران حتى سالت الدماء، والعدوّ على أشد ما يكون الفرح. ثم افترقا. وبعد ثلاثة أيّام، عادا إلى الوراء، ورجع كلٌّ منهما إلى نفسه تائباً، واعترف بما اعتقد الآخر أنُّه رآه، واعترفا أيضاً بمحاربة الشيطان، وبقيا حتى النهاية لا يفترقان.

**الأنبا نِيلُس**

قال الأنبا نِيلُس: الراهب الذي يحب الاختلاء والسكينة يبقى معصوماً عن سهام العدوّ، أمّا الذي يختلط بالجماهير فإنه لا ينفك يتلقّى الضربات.

**س**

**الأنبا سِر لِيُون**

فيما كان الأنبا سرابيون يجتاز يوما إحدى قرى مصر، شاهد بغيّاً واقفة أمام مسكنها. فقال لها: انتظريني هذا المساء، لأني أريد ان آتي عندك وأمضي الليل بالقرب منك قالت له: حسناً، أيها الأنبا. واستعدت وهيأت الفراش. فلما حلَّ المساء، جاء الشيخ إلى بيتها ودخل

وقال لها: هل هيأتِ الفراش؟ قالت: أجل، أيها الأنبا. فأغلق الباب وقال لها: انتظري قليلا، لأن لنا شريعةً وعليّ أولاً أن أتّممها. وبدأ الشيخ فرضه، فاستهلّه بالمزامير، وكان لدى كلّ مزمور يتلو صلاةً ضارعاً إلى الله لأجلها حتى تهتدي وتخلص. واستجابه الله، فقد قامت المرأة ترتجف وتصلّي بقرب الشيخ، ولما فرغ من تلاوة جميع المزامير، جثت أ رضاً. أما

هو فشرع يقرأ رسائل الرسول وتلا منها مقطعا كبيرا وأنهى الفرض. فتملَّك المرأة خجل شديد وأدركت أنه لم يأت إليها ليقترف الخطيئة بل ليخلص نفسها، وجثت أمام قدميه وقالت: أحسن الي، أيها الأنبا، وخذني إلى حيث أستطيع إرضاء الله. فأخذها الشيخ إلى دير عذارى

وسلّمها إلى الأم وقال: خذي هذه الأخت ولا تفرضي عليها نيراً ولا وصيةً شأن سائر الأخوات، ولكن إن ابتغت شيئا فأعطيها إياه وامنحيها أن تذهب بحسب ما تشاء. وبعد بضعة أيام قالت: أنا خاطئة، وأريد أن آكل كلَّ يومين. ثم بعد قليل قالت: لقد اقترفت جماً من الخطايا، وأريد أن آكل كل أربعة أيام. وبعد أيام قليلة توسَّلت إلى الأم، قالت: ما دمت أحزنتُ الله جداً بأخطائي، أحسني إليّ واجعليني في صومعة وأغلقيها بكلتيهآ، ومن الكوَّة مدّيني بقليل من الخبز وبالعمل. وهكذا فعلت ا لأم، وحَسُنت المرأة في عيني الله طوال ما بقي لها من حياتها.

٢ - خاطب أحد الإخوة الأنبا سرابيون، قال: قل لي كلمة. قال له الشيخ: ماذا أقول لك؟ لقد أخذت مال الأرامل واليتامى ووضعته في هذ ه الخزانة. لأنه رآها ملآى بالكتب.

٣ - قال الأنبا سرابيون: كما أن جنود الإمبراطور، ساعة يقفون متأهبين، لا يجرؤون على التلفت يمنة ويسرة، هكذا يكون شأن المرء إذا ما وقف في حضرة الله ونظر أمامه بالخشية في كل لحظة: فإنه لا يخاف شيئا من العدوّ.

٤ – قصد أحد الإخوة الأنبا سرابيون، فدعاه الشيخ، بحسب عادته، إلى القيام بالصلاة. بيد أنّ الآخر قال إنه خاطئ غير أهل لارتداء الثوب الرهباني، ورفض. فأراد الشيخ أيضاً أن يغسل رجليه، ولكن الزائر استعمل الكلمات نفسها مجدداً ومنعه. ثم أطعمه وبدأ الشيخ أيضاً يأكل، ووبخه، قال: يا بنّي، إن أردت أن تُحرز تقدماً فأبقى في صومعتك وانتبه إلى نفسك وإلى عمل يديك. فالخروج لا يأتيك بما يأتيك به القعود من فائدة عظيمة. ولكن لما سمع الآخر هذا الكلام تحوّل إلى المرارة وتبدلت سحنته إلى حدّ لم يخفَ على الشيخ. فقال له الأنبا سرابيون: حتى الآن كنت تقول بأنك خاطئ وتلوم نفسك مقراً بأنك لا تستحق الحياة. ولما نهتك بمحبّة اضطربتَ غاية الاضطراب. فإن أردت أن تكون متواضعاً، تعلَّم أن تتحمل برحابة صدر ما يصيبك من لدن الآخرين ولا تحفظ في نفسك الأقوال الفارغة. فلما سمع الأخ هذا الكلام، استغفّر الشيخ وانصرف معجباً مشدَّد العزيمة والتقوى.

**الأمّا سَرَّة**

١ - روي أنّ الأمّا سَرَّة بقيت ثلاث عشرة سنة يحاربها شيطان الزنى بشدّة، وطوال تلك المدة لم تصلِّ قطّ ليزول الجهاد، بل كانت تقول :اللّهمَّ، أعطني القوّة.

٢ -في ذات مرة لزمها روحُ الزنى نفسُه ملحّاً شديدَ الإلحاح، مذكّراً إياها بأباطيل العالم. ولكنها لم تتخل عن خشية الله ولا عن تقشفها، بل صعدت إلى سطحها الصغير لتصلي. فتراءى لها روح الزنى بهيئةً جسدية وقال لها: أنت، يا سرة، قهرتني. فقالت: لست أنا التي قهرتك، بل المسيح معلّمي.

٣ - روي في ما يخصها أنها أقامت طوال ستين سنة في مكان يشرف على النهر فلم تحوّل عينيها لتنظر إليه.

**الأنبا سِسْوى**

١ - أُسيءَ إلى أحد الإخوة، فقصد الأنبا سِسْوى وقال له: لقد أساء إلي أخ من الإخوة، وأريد أن أنتقم. فأخذ الشيخ يعظه وقال له: لا، يا بنّي، بل سلِّم الله أمر الانتقام هذا. قال له: لن أجد الراحة قبل أن أنتقم قال الشيخ: فلنصل يا أخي. ونهض وقال: اللهم، لم نعد بحاجة إلى أن

تهتم بنا، لأننا نأخذ حقنا بيدنا. فلما سمع ا لأخ هذا الكلام، جثا عند قدمي ال شيخ وقال: لن أنتقم من أخي بعد اليوم: اغفر لي أيها الأنبا.

٢ - كثيرا ما كان تلميذ الأنبا سسوى يقول له: يا أنبا، قم لنأكل فيقول له الشيخ: ألم نأكل يا بنّي؟ فيجيبه: كلا، يا أبت. فيقول الشيخ: إن لم نأكل، فأتِ بالطعام ولنأكل.

٣ - في ذات يوم تكلم الأنبا سسوى بحرّية، قال: ها قد مضى علّي ثلاثون سنة وأنا لا أضرع إلى الله بسبب خطاياي، ولكني أرفع إليه هذا الدعاء: ربِّ يسوع، احمني من لساني، وإلى الآن، أسقُط كلّ يوم بسببه وأقترف الخطيئة.

٤ - قال أحد الإخوة للأنبا سِسْوى: لماذا لا تبتعد الأهواء عني؟ فقال له الشيخ: لأن أدواتها في داخلك. أعطلها عربونها، فتنصرف.

٥ - لما كان الأنبا سِسْوى يقيم على جبل الأنبا أنطونيوس، تأخر تلميذه عن المجيء، فلم يشاهد أحداً طوال عشرة أشهر. وفيما كان يسير في الجبل صادف رجلا من فاران يصطاد السباع. فقال له الشيخ: من أين أتيت؟ وكم مضى

عليك وأنت هنا؟ أجاب: وبالحقيقة، أيها الأنبا، أنا على هذا الجبل منذ أحد عشر شهرا، ولم أشاهد أحدا سواك. فلما سمع الشيخ هذا

الكلام، دخل صومعته وقرع صدره وهو يقول: ويا سسوى ها قد ظننك أنّك أنجزتَ عملا ما، ولكنك لم تصل حتى إلى مستوى هذا العلماني.

٦ - قُدِّمت تقدمة على جبل الأنبا أنطونيوس ووُجد ضمنها دنًّا صغيراً مملوءاً خمراً. فتناول أحد الشيوخ إناء وكأساً وذهب إلى الأنبا سِسْوى وقدم له ليشرب. فشرب. وناوله مرةً ثانية، فقبل ٠ ثم قدم له ثالثةً، فأبى وقال: كفى، يا أخي، ألا تعلم أنه الشيطان؟

٧ - في ذات يوم جاء رجل من أهل طيبة عند الأنبا سسوى، وكان يريد أن يصبح راهباً. فسأله الشيخ هل له أحد في العالم؟ فقال: لي ابنٌ. قال الشيخ: اذهب وارمه في النهر وعندئذ تصير راهبا. وما إن انطلق ليرميه، حتى أرسل الشيخ أخاً ليمنعه. وإذ كان الرجل يهمّ برمي ابنه، قال له الأخ: ويحك، ماذا تفعل؟ فقال له: قال لي الأنبا أن أرميه. فقال له الأخ: ولكنه قال بعد ذلك ألاّ ترميه، ٠ فتركه، ووافى الشيخ، وأصبح راهباً متمرساً بالطاعة.

٨ - سأل أحد الإخوة الأنبا سِسْوى، قال: وهل كان الشيطان يطارد الأقدمين كما يفعل مع الناس في أيامنا ؟، فقال له الشيخ: إنه اليوم أشدّ وطأة، لأن وقته اقترف فاضطرب.

٩ - جرَب الشيطان ذات يوم إبراهيم تلميذ الأنبا سِسْوى. رأى الشيخ أنه خضع للتجربة. فقام ورفع يديه نحو السماء، وقال: اللهمَّ، سواء شئتَ أو أبيت، لن أدعك ما لم تبرئه، فشفي الأخ لساعته.

١٠ - روي أنه لما احتضر الأنبا سسوى وكان الآباء جلوسا بقربه، لمع وجهه كأنه الشمس، فقال لهم: ها قد أتى الأنبا أنطونيوس. وبعد قليل قال لهم: ها قد أتى جوق الأنبياء. ولمع وجهه مجددا لمعاناً شديداً، فقال: ها قد أتى جوق الرسل. وتضاعف تألق وجهه، وكان يبدو وكأنه يخاطب أ حدا ٠ فسأله الشيوخ: من تخاطب، يا أبانا؟ قال: ها إن الملائكة أتت لتأخذني، وإني أتوسل إليها أن تدعني أقوم ببعض أعمال التوبة. فقال له الشيوخ: لست بحاجة إلى أعمال توبة، يا أبانا. إلا أن الشيخ قال لهم: بالحقيقة، ما كنت لأدري أنني مازلت في البداية. وكان الجميع يعرفون أنه كامل. ومرة جديدة صار وجهه فجأة شبيهاً بالشمس، وخافوا جميعا خوفاً شديدا. فقال لهم: أنظروا، الربُّ آتٍ وهو يقول: هاتوا لي من البريّة الإناء المختار. وحصل ما يشبه البرق الساطع وامتلأت أرجاء والبيت رائحة ذكية.

١١ -r صد الأنبا أدلفيوس، مطران نيلوبوليس، الأنبا سسوى على جبل الأنبا أنطونيوس. ولما حان وقت رحيله مع صحبه، قدم لهم الطعام قبل انصرافهم. وكان الزمن زمن صوم. وإذ كانوا يهيئون المائدة قرع الباب بعض الإخوة. فقال لتلميذه: قدم لهم قليلا من الطعام لأنهم متعبون، فقال له الأنبا أدلفيوس: لا، دعك من هذا، لئلا يقولوا إنّ الأنبا سسوى يأكل منذ الفجر. فحدق به الشيخ وقال للأخ: اذهب وناولهم. فلما رأوا الطعام قالوا: هل عندكم غرباء، وهلا يأكل الشيخ معكم؟ فأجاب الأخ: بلى. فشرعوا يكتئبون ويقولون: سامحكم الله، لأنكم تركتم الشيخ يأكل الآن. ألا تعلمون أنه بسبب ذلك، سيكبد نفسه الإماتات زمناً طويلا؟ فسمعهم المطران وانحنى أمام الشيخ وقال: سامحني، أيها الأنبا، فقد فكرت تفكير البشر، أما أنت فقد فعلت فعل الله. وقال له الأنبا سسوى: إن لم يمجد الله الإنسان، فمجد الناس باطل.

١٢ - قصد بعض الإخوة الأنبا سسوى ليسمعوا منه كلمة. ولكنه لم يكلمهم واكتفى بأن يقول: سامحوني. وشاهد زائروه سلاله الصغيرة، فقالوا لتلميذه إبراهيم: لماذا تصنعون هذه السلال الصغيرة؟ قال: نبيعها هنا وهناك. فلما سمع الشيخ هذا الكلام قال: وسسوى يأكل من هنا

وهناك. فكانت تلك الكلمات خير عون للإخوة وانصرفوا فرحين معجبين بتواضعه.

١٣ – سأل الأنبا أمون الرائطّي الأنبا سسوى، قال: عندما أطالع الكتاب المقدس، أصبّ كل تفكيري واهتمامي على الكلمات، حتى يكون لي ما أقوله إذا ما سألوني. فقال له الشيخ: لا داعي لذلك، فالأجدى أن تحصّل لأجل ذاتك، بطهارة الفكر، وألا تهتم، ثم تتكلم.

١٤ - جاء أحد العلمانيين برفقة ابنه عند الأنبا بشوى على جبل الأنبا أنطونيوس. وفي الطريق صدف أن توفي ابنه. فلم يضطرب، بل حمله واثقا إلى الشيخ وانحنى مع ابنه كأنه يجثو لينال بركة الشيخ. ثم نهض الوالد، وترك الولد عند قدمي الشيخ وخرج. فظنّ الشيخ أنّ الصبّي كان جاثيا، فقال له: انهض واخرج، لأنه لم يعرف أنه كان ميتاً. وفي الساعة نهض وخرج، فلما شاهده والده، تملكته الدهشة، وعاد إلى الداخل وانحنى أمام الشيخ وأعلمه الأمر. فلما سمع الشيخ بذلك، حزن جداً لأنه لم يكن في نيته أن يحصل ما حصل. وطلب التلميذ إلى والد الصبّي ألا يخبر أ حداً بالأمر حتى يموت الشيخ.

١٥ - قال الأنبا سسوى: صر مزدرئً، وانبذ إرادتك، ودع عنك الهموم، فتنال الراحة.

**ا لأنبا سِلو انُس**

١ ذهب الأنبا سِلوانُس وتلميذه زكريا ذات يوم إلى أحد الأديرة. فقدموا لهما الطعام قبيل الرحيل. ولما أصبحا خارجاً، وجد تلميذه في الطريق ماءً، فهمَّ بأن يشرب، إلا أنّ الشيخ قال له: زكريا، اليوم صوم. قال :ولكن، ألم نأكل، أبت؟ قال الشيخ: ما أكلناه صدر عن المحبة، أما نحن، يا بنّي، فلنحفظ صومنا الخاص.

٢ - وفي أ حد الأيام، كان جالسا مع بعض الإخوة، فاختُطف بالروح وأكبّ على وجهه. وبعد مدة غير قصيرة نهض وبكى. فتوسل إليه الإخوة وقالوا له: ما بالك، يا أبانا؟ أما هو فلزم الصمت وظلّ يبكي. وإذ كانوا يلحون عليه ليتكلم، قال: لقد اختطفت إلى حيث الدينونة، ورأيت كثيرين من أبناء جنسنا يذهبون إلى العقاب، وكثيرين من العلمانيين يذهبون إلى الملكوت. وظلَّ الشيخ على خشوعه واغتمامه ولم يرد ترك صومعته. وإن اضطّرَّ إلى الخروج ستَر وجهه بقلنسوته وهو يقول: لِمَ الرغبة في مشاهدة هذا النور الزمني الذي لا شيء فيه نافع؟

٣ - لمّا كان الأنبا سلوانس مقيماً على جبل سيناء، ذهب تلميذه في خدمة يقضيها، وقال للشيخ: افتح الماء واسق الحديقة. فخرج الشيخ وستر عينيه بقلنسوته ولم ينظر إلاّ إلى حيث تطأ قدماه. وإذ بأحد الإخوة يأتي في تلك الساعة، فشاهد من بعيد ما كان يفعله، وجاء إليه وقال له: قل لي، أيها الأنبا، لم كنت تخبئ وجهك بالقلنسوة وأنت تسقي الحديقة؟ فقال

الشيخ: يا بنّي، لئلا ترى عيناي الأشجار، فيتشتت فكري بسببها.

٤ - قصد أحد الإخوة الأنبا سلوانس على جبل سيناء. ولما رأى الإخوة يعملون، قال للشيوخ: لا تعملوا للقوت الفاني، فقد اختارت مريم النصيب الأفضل. فقال الشيخ لتلميذه: يا زكريا، أعط الأخ كتاباً، وضعه في صومعة بدون أي شيء. ولمّا حانت الساعة التاسعة، أخذ الأخ يراقب الباب لعلهم يرسلون أ حدا يدعوه إلى الطعام، ولما لم يدعه أحد، قام وتوجه إلى الشيخ وقال له: ألم يأكل الإخوة اليوم؟ أجابه الشيخ: بلى. فقال: لم نم تدعوني؟ قال له الشيخ: لأنك رجل روحانّي ولست بحاجة إلى ذلك الطعام. أما نحن الجسديين، فنريد أن نأكل، ولهذا السبب نعمل. أنت اخترت النصيب الأفضل، تقرأ طوال النهار ولا تريد أن تأكل من الطعام الجسدي. فلما سمع الأخ هذا الكلام أ كبّ على وجهه وقال: سامحني أيها الأنبا. فقال له الشيخ: بالحقيقة، حتى مريم تحتاج إلى مرتا، فبفضل مرتا تمتدح مريم.

٥ - سألوا الأب سلوانس يوما قالوا: أي نمط من الحياة سلكت، يا أبانا، فنلت هذه الحكمة؟ أجاب: ما سمحت يوماً بأن تد خل قلبي فكرة تستدعي سخط الله.

٦ - سأل الأنبا موسى الأنبا سلوانس قال: هل يستطع المرء أن يضع كلَّ يوم أساساً جديدا؟ فأجابه الشيخ: إن كان عاملا، فإنه يستطيع، حتى في كل ساعة، أن يضع أساسا جديدا.

**الأمّا سنكلتيكي**

١ - قالت الأما سنكلتيكي: كثيرون يعيشون على الجبل ويعملون أعمال أهل المدن فيهلكون: ذلك بانه من الممكن أن يعيش المرء بين الجماهير ويكون متوحدا بفكره، وأن يعيش وحده ويكون مع الجماهير بفكره.

٢ - قالت الأما سنكلتيكي: ثمة في البداية كثير من الجهود والمشقات للذين يتقدمون نحو الله، ومن بعدها فرح لا يوصف. فكما أنّ الذين يريدون إشعال نار يكونون أولا في الدخان ويبكون، وبذلك ينالون ما كانوا يبحثون عنه- فقد قيل: إلهنا نارٌ حارقة - كذلك ينبغي لنا أن نضرم النار الإلهية بالدموع والمشقة.

٣ - وقالت أيضاً: يجب علينا، نحن الذين اختاروا هذه المهنة، أن نصل إلى كمال الاعتدال. فيبدو أنّ الاعتدال مقبول بين أهل الدهر، ولكن عدم الاعتدال يقيم إلى جانبه، لأنهم يخطئون بسائر الحواس ٠ فهم ينظرون بدون خجل ويضحكون بدون حدّ.

٤ - وقالت أيضاً: كما أنّ أشد العقاقير مرارةً تطرد الحيوانات السامّة، هكذا فالصلاة المقرونة بالصوم تطرد فكرة السوء.

٥ - وقالت أيضاً: لا تغوينّك ملذات ثروات الدنيا ، كما لو أنّ فيها شيئاً من الفائدة بسبب اللذة الباطلة . فأهل الدنيا يثمّنون فن الطبخ، أما أنت ، فبالصوم وبفضل الأطعمة الرخيصة تتجاوز وفرة طعامهم . ولقد كتب :إنّ النفس التي تقوم وسط الملذات تهزأ من شهد العسل. فإن لم تتخم بالخبز لن تشتهي الخمرة.

٦ - سئلت سنكلتيكي الطوباوية هل الفقر خير كامل. فأجابت: إنه خير في غاية الكمال للذين يقوون عليه. فالذين يحتملونه هم في شدة الجسد، ولكن في راحة النفس. فكما أنّ الثياب المتينة تغسل بوطء الأقدام وبتقليبها من كلّ جالب، هكذا فالنفس القوية تزداد متانة بفضل الفقر الاختياري.

٧ - وقالت أيضاً: إن كنتَ في جماعة، فلا تبدل مكان إقامتك، لأنك في ذلك مضرّةً عظيمة. فكما أنّ الطير، الذي يترك البيضات التي يحضنها، يمنعها من أن تفرخ، هكذا الراهب أو العذراء، فإنهما بانتقالهما من مكان إلى آخر، يبردان ويموت فيهما الإيمان.

٨ - وقالت أيضاً: كثيرة هي حيل الشيطان. فإن لم يستطع التأثير في النفس عن طريق الفقر، يزين لها الثروة ليصطادها. وإن لم ينل الغلبة بالشتائم والإهانات، يقترح المدائح والمجد. إن هزمته الصحة، يجعل الجسم مريضاً. إن لم يستطع الإغواء بالملذات، يحاول الإسقاط عن طريق المشقات غير الاختيارية. فإنه يزيد الأمراض الثقيلة المرهقة ليبثّ الاضطراب

في قلوب ضعفاء النفوس ويزعزع حبهم لله. ولكنه يمزّق الأجسام أيضاً بمختلف أنواع الحمى الشديدة اللاهبة، ويرهقها بظمأ لا يطاق ٠ فإن كنت خاطئا وتكبدت جميع هذه الأمور، تذكر القصاص الاتي، والنار الأبدية، وعقوبات العدالة، ولا تفشل أمام الحاضر. افرح لأن الله يفتقدك واحفظ على لسانك هذه الكلمة المباركة: الرب أدبني ولم يسلمني إلى الموت.

٩ - وقالت أيضاً: في العالم، إ ن اقترفنا خطأ، حتى من دون إرادتنا، نلقى في السجن. لذا فلسجن ذواتنا بسب خطايانا، لكي ما تنحي هذه الذكرى العقاب الآتي.

١٠ - وقالت أيضاً: متى صمت، لا تتذرع بالمرض. فالذين لا يصومون، غالبا ما يقعون في الأمراض نفسها. ومتى بدأت تعمل الأعمال الصالحة، لا تعد إلى الوراء بضغطٍ من العدو، لأنه بجلدك يضبط العدو.

١١ - وقالت أيضاً: كما أنّ الكنز المعروض يفقد قيمته، هكذا تختفي الفضيلة التي يعرفها الجميع. وكما أن الشمع يذوب لدى اقترابه من النار، هكذا تخلّ النفس بسب المدائح فتضيع أتعابها.

١٢ - وقالت أيضاً: كما أنه من غير الممكن أن تكون النبتة بذرة في الوقت نفسه، هكذا من المستحيل، إذا ما أحاطت بنا الأمجاد العالميَّة، أن نحمل ثمراً سماوياً.

١٣ - وقالت أيضاً: لنكن متيقظين، لأنه بحواسنا يدخل اللصوص، حتى إن لم ترد ذلك فكيف لا يَسود منزلاً بفعل دخاناً يوجه إليه من الخارج، إن كانت النوافذ مفتوحة.

١٤ - وقالت أيضاً: ينبغي أن نتسلح بشتى الوسائل لمواجهة الشياطين. ذلك بأنها تأتينا من الخارج وتحرّكنا من الداخل. والنفس أشبه بمركبٍ تارةً تغمره الأمواج الضخمة، وطوراً يغوص لأن باطنه مملوء مثقل. وهكذا نحن: فتارة نهلك من خارج بسب أعمالنا المذنبة، وطورا نفني ذوابنا من داخلٍ بسب أفكارنا. فينبغي إذاً أن نراقب هجمات البشر الآتية من

الخارج، وتنهك تدفقات الأفكار في الداخل.

١٥ - وقالت أيضاً: في هذه الدنيا لسنا بمنأى عن الهموم. فقد قال الكتاب: من ظن أنه واقف، فليحذر السقوط. وإنّنا نمخرُ عباب بحرٍ مظلم. فلقد دعا صاحبُ المزامير حياتنا بحراً، والبحر تارة مليء بالصخور وطوراً هائج أو هادئ. أمّا نحن فسفينتنا تسير دوماً في هدي شمس البرّ، وعلى الرغم من ذلك فلا يندر أن ينقذ رجل العالم مركبه في خضمّ العاصفة

ووسط الظلام، لفرط ما يُخلد إلى السهر، في حين نغرق نحن في الأعماق بسب إهمالنا، على الرغم من كوننا في بحر هادئ، وذلك لأننا تركنا دفة البرّ.

١٦ - وقالت أيضاً: كما أنه يستحيل بناء سفينة من دون مسامير، فمن المستحيل أيضاً الخلاص من دون تواضع.

١٧ - وقالت أيضاً: ثمة حزن مفيد، وثمّة حزن هدام. ميزة الأول أنّ صاحبه يبكي على خطاياه وينحسر لضعف ذويه، لكي لا يكون هناك إخلال في المقاصد، بل تمسُّك بالصلاح التامّ. ولكن ثمّة الحزن الآتي من العدوّ، الحزن المليء جنوناً، وقد دعاه بعضهم القنوط. فينبغي إذا طرد هذا الروح، خاصةً بالصلاة وتلاوة المزامير.

١٨ - وقالت أيضاً: حَسنٌ ألا تغضب. ولكن إذا حصل ذلك، فلا يمهلك الرسول، في هذا الشأن، إلا نهارا واحداً، إذ يقول: لا تغربن الشمس. وأنت، هل تنتظر، والحالة هذه، أن ينفد وقت كلهّ؟ لم تبغض الإنسان الذ ي أحزنك؟ ليس هو الذ ي اقترف الظلم، بل الشيطان. أبغض المرض لا المريض.

١٩ - وقالت أيضاً: يواجه أبطال الرياضة خصوماً تُناسبُ قوتهم تقدمهم.

٢٠ - وقالت أيضاً: ثمة نظام تقشف يحدده العدوّ، وتلاميذه يتبعونه فكيف نميز بين نظام التقشف الإلهي الملكي والنظام الشيطاني؟ من الواضح أن ذلك يكون باعتداله. فاتبع دائما قاعدة واحدة في الصوم، ولا تصم أربعة أيام أو خمسة ثم تنهي ذلك في اليوم التالي بوفرة الأطعمة، فعدم الاعتدال مفسدة في كل آن. وحين تكون شاباً معافى، صُم، إذ سوف

تأتي الشيخوخة مع المرض. ما دمت تستطيع، أكنز، حتىّ إذا تعذر عليك ذلك تجد الراحة.

٢١ - وقالت أيضاً: عندما نكون في جماعة، فلنؤثر الطاعة على التقشف فهذه تعلّم الكبرياء، وتلكَ التواضع.

٢٢ وقالت أيضاً: يجب أن نسوس نفسنا بتمييز، وإذا ما عشنا ضمن جماعة، ألا نسعى لما هو لنا، ولا نتبَّع رأينا الشخصي، بل نطع أبانا بحسب الإيمان.

**ف**

**الأنبا فليكس**

قصد بعض الإخوة، ومعهم أناس علمانيون، الأنبا فليكس، وتوسلوا إليه أن يقول لهم كلمة. ولكن الشيخ لزم الصمت. وبعد أن توسلوا إليه طويلا، قال لهم: تريدون أن تسمعوا كلمة؟ قالوا: نعم، أيها الأنبا. قال لهم الشيخ: من الآن وصاعدا، ليس من كلمة ٠ فلما كان الإخوة

يسألون الشيوخ ويفعلون ما يقولونه لهم، كان الله يبين كيف يكون الكلام. أما الآن، فما داموا يسألون بدون أن يفعلوا ما يسمعون، فقد نزع الله من الشيوخ نعمة الكلام، ولا يجدون ما يقولون ما دام ليس من فعلة. فلمّا سمع الإخوة هذا الكلام تأوّهوا وقالوا : تضرع لأجلنا يا أنبا.

ق

**الأنبا قاسيانُس**

١ - روى الأنبا قاسيانُس ما يلي: وذهبنا إلى مصر، وقصدنا، أنا، وجرمانس القديس، أحد الشيوخ. وإذ أقبل علينا يستضيفنا سألناه: لِمَ، إذا ما استقبلت إخوة غرباء، لا تتَّبع قاعدة صومنا كما قبلناها في فلسطين؟، فأجابنا: الصوم في متناولي دوماً. أمّا أنتم فلا أستطيع أن

أستبقيكم معي في كل حين. ثم لعلّ الصوم أمرٌ نافع وضروريّ، ولكنه منوط باختيارنا، في حين أنّ تتميم المحبة هو من فرائض شريعة الله. ولمّا كنت أستقبل المسيح في شخصكم، توجّب على أن أ خدمكم بكل نشاط. ولكن، بعد أن أصرفكم، أستطيع العودة إلى قاعدة الصوم. ذلك بأنّ أبناء العريس لا يستطيعون الصيام ما دام العريس معهم. أمّا متى أخذ العريس عنهم، فعندئذ يصومون بحرّية.

٢ - وقال أيضاً: قصدنا شيخا آخر، فأعد لنا طعاما. ولمّا شبعنا، راح يدعونا إلى تناول المزيد. وإذ قلت له إننا لم نعد نقوى على ذلك أجاب: أمّا أنا، ف هذه هي المرة السادسة التي أعد فيها المائدة لإخوة يَفِدون، وقد أكلت مع كل واحد دعوته، ومازلت جائعا. وأمّا أنت

فلم تأكل من هذا الطعام إ لا مرة واحدة وإذا بك اكتفيت وعن تناول المزيد عجزت.

٣ - وروى المحدث نفسه قال: قصد الأنبا يوحنا، وهو رئيس جماعة كبيرة، الأنبا بايسيوس، وكان يعيش منذ أربعين سنة في برية منعزلة نائية .ولمّا كان يعزه كثيرا، وبالتالي يخاطبه بحرية تامة، قال له: أي عمل صالح قمت به وأنت تعيش فى هذه العزلة منذ أمد طويل لا يزعجك أحد بسهولة؟ فأجابه: منذ أن رحت أعيش منعزلاً، لم ترني الشمس آكلً. وقال له الأنبا يوحنا: أما أنا، فلم ترني غاضباً.

٤ - كان الإخوة يحيطون بالأنبا يوحنا السابق ذكره، وكان مشرفاً على الموت موشكاً أن يرحل سريعا فرحاً إلى جوار الله. فسألوه أن يترك لهم على سبيل الإرث كلمة موجزة ناجعةً يستطيعون بها بلوغ الكمال بالمسيح. أمّا هو فراح يئن وقال لهم: ما فعلت إرادتي الخاصة قط، ولم أعلِّم أحداً أيَّ أمر لم أُتِمَّه قبلاً.

٥ - وروى قاسيانس أيضا في شأن شيخ آخر يقطن البرية أنه تضرع إلى الله أن يمن عليه بألا يتغلب عليه النعاس في أثناء ا لأحاديث الروحية، بل إذا ما تفوه أحدهم أمامه بالنميمة أو باطل الكلام، أن يعطيه القدرة على النوم لساعته

حتى لا تذوق اذناه من ذاك السم قطعا. وكان هذا الشيخ يقول أيضا إنّ الشيطان، عدو كل تعليم روحّي، يجتهد في إثارة الكلام الباطل. وكان يلجأ، لتبيان هذا الواقع، إلى المثل التالي: فيما كنت مرة، أخاطب بعض

الإخوة في موضوع مفيد، تغلب عليهم سبات عميق لم يستطيعوا من جرّائه تحريك جفونهم، فأردت أن أبين لهم قوة الشيطان وأقحمت موضوع حديث تافه، وإذا بهم يستيقظون بسرعة فرحين سعداء.

فقلت لهم متأوّهاً: حتى الآن كنا نتباحث في شؤونٍ سماوية وكان النوم يثقل عيونكم جميعا، ولكن مذ بدأت أنطق بكلام باطل أراكم جميعا تستيقظون مسرعين. لذلك، يا إخوتي، أحثكم على أن تعترفوا بقوة الشيطان، وتحترسوا متيقظين، وتحذروا النوم عندما تفعلون أو تسمعون أمرا من الأمور السماوية.

٦ - وقال أيضا: قرّر عضوٌ من أعضاء مجلس الشيوخ أن يتخلى عن أمواله، فوزعها على الفقراء واحتفظ بقليل منها لحاجاته الخاصة، لأنه لم يرد القبول بالتواضع الناتج من التجرّد الكامل، ولا الخضوع المخلص لقانون الجماعة. فقال له القديس باسيليوس المقولة التالية: لقد أضعت مرتبتك في صفوف الشيوخ، ولم تكسب مرتبةً في صفوف الرهبان.

**الأنبا قُرُونِيُوس**

١ - قال أحد الإخوة للأنبا قُرُونِيُوس: قل لي كلمة. فقال له: لمّا جاء أليشاع عند المرأة الشونمية، وجدها غير مرتبطة بأي أمر مع أي شخص .فحبلت وولدت ابنا بقدوم أليشاع. فقال له الأخ: ما هذه الكلمة؟ قال الشيخ: إنّ النفس، إذا ما كانت متيقظة وانعزلت عن التلهي وتخلت عن إراداتها الخاصة، تملكها روح الله واستطاعت عند ذاك أن تلد لأنها قاحلة.

٢ -سأل أحد الإخوة الأنبا قرونيوس: كيف يصل المرء إلى التواضع؟ فقال له الشيخ: بخشية الله. فقال الأخ: وبأي عمل نصل إلى خشية لله؟ أجاب الشيخ: يكون ذلك، في رأيي، إذا ما انعزلنا عن سائر الشؤون، وانصرفنا إلى الجهد الجسدي، وتذكرنا بكل قوانا خروجنا من

الجسد وقضاء الله.

ر

**الأنبا الروماني**

روي أن أحد الرومانيين كان في سابق عهده من كبار موظّفي القصر، فجاء إلى الإسقيط ليصبح راهبا، وسكن قرب الكنيسة. وكان معه شخص يخدمه. وكان الكاهن يعلم ضعف صحته وما كان عليه في الماضي من رفاه، فأخذ يرسل له ما كان يحتاج إليه. وبعد أن عاش خمساً وعشرين سنة في الإسقيط أصبح رائياً وذاع صيته ٠ فسمع به أ حد كبار المصريين وجاء لمشاهدته ظناً منه أنه يحيا حياةً على قسطٍ وافر من التقشف الجسدي. فدخل عليه وألقى التحية. ثم قاما بالصلاة وجلسا. فرأى المصرّي أنه يرتدي ألبسه ناعمة وعنده سرير مع غطاء ومخدة صغيرة، كما رأى أنّ رجليه نظيفتان وأنه يحتذي نعلين. فلما لاحظ كل ذلك تعثر لأنّ مثل هذا النمط من الحياة لا يليق بهذا المكان، بل ينبغي أن يكون فيه شظف العيش. بيد أنّ الشيخ كان يتمتع بموهبة الرؤية، ففهم أنّ زائره تعثّر. ثمّ قال لخادمه: أولِم لنا اليوم بسبب الأنبا. وكان ثمة بعض الخضار فسلقها، وفى الموعد المضروب قاما وتناولا الطعام. وكان أيضاً لدى الشيخ بعض النبيذ بسبب مرضه، فشربا منه ٠ ولما حلّ المساء، تليا المزامير الاثني عشر وأخلدا إلى النوم. وفعَلا مثل فعلهم هذا في أثناء الليل .ونهض المصري عند شقّ الفجر وقال: صليّ لأجلي، وانصرف بدون أن يجد مدعاة للبنيان. ولما ابتعد قليلا، أراد الشيخ أن يبدّل من موقفه النفسي هذا فأرسل من يعيده. ولدى وصوله استقبله مجّدداً بكلِّ فرح وقال: من أي منطقة أنت؟ قال: إني مصري. ومن أي مدينة؟ قال: لست مدنيّاً قط وماذا كنت تعمل في قريتك؟ قال: كنت حارسا. أين كنت تنام؟ قال: في الحقل هل كان لديك غطاء تدثر به؟ قال: الحق أقول، هل أدثر بغطاء وأنا في الحقل؟ ولكن كيف كنت تنام؟ قال: على الأرض. فقال الشيخ أيضاً: ماذا كنت تأكل في الحقل، أو أي خمر كنت تشرب؟ أجاب: هل من طعام أو شراب في الحقول؟ ولكن كيف كنت تعيش؟ قال: كنت آكل خبزا قفاراً، وبعض المملحات مع الماء إن توفرت. قال الشيخ: ما أعظمها من مشقة!

وهل كان في القرية حمام للاغتسال؟ أجاب: لا، بل كنا نلجأ إلى النهر ساعة نشاء. وبعد أن اطلع الشيخ على كل ذلك وعلم شظف حياته السابقة، أراد أن يفيده فأخبره كيف كان هو يعيش في ما مضى لما كان في العالم: أنا، الرجل الوضيع الذي تراه، من مدينة روما العظيمة، وأصبحت عظيما في بلاط الإمبراطور. فلما سمع المصري مطلع هذا الخبر

ندم أشد الندم وراح يستمع بانتباه إلى ما يرويه الآخر. وأردف الشيخ قال :تركت المدينة إذا وقصدت هذه البرّية. ثم كان لي، أنا الذي تراه، منازل كبيرة وأموال كثيرة، فاحتقرتها وجئت إلى هذه الصومعة الصغيرة. ثمَّ كان لي، أنا الذي تراه، أسرّة كلها ذهب ٠مع أغطية بالغة الثمن، وفي مقابل ذلك وهبني الله هذا السرير الصغير وهذا الجلد. ثم إنّ ثيابي كانت

أغلي الأثمان. وها إني ألبس بدلاً منها هذه الثياب التي لا قيمة لها. ثم إنهم كانوا يصرفون لطعامي الذهب الكثير، وبدلاً من ذلك وهبني الله قصعة الخضار الصغيرة هذه وكأسا من الخمر. وكان ثمة عبيد كثيرون يخدمونني، وبدلا من ذلك ينكبُ الله هذا العجوز بخدمتي. وبدلا من الحمام أرشّ بعض الماء على رجلّي واحتذي نعلين بسبب ضعفي. ثمّ، بدلا

من الموسيقى على أنواعها والقيثارات أتلو المزامير الاثني عشر. وكذلك، في أثناء الليل، عوضاً عن الأخطاء التي كنت اقترفها، أقوم في الهدوء بليتُورجيتي الصغيرة. وعليه فإني أستحلفك أيها الأنبا ألاّ تتعثر بسبب ضعفي. فلما سمع المصري هذا الكلام عاد إلى نفسه وقال: الويل لي، لأني بعد شقاء عظيم في العالم جئت إلى الراحة، وما لم يكن لدي آنذاك

ها أنا ذا الآن أملكه. أما أنت، فبعد رفاه عظيم جئت إلى الغمّ، وبعد الكثير من المجد والغنى جئت إلى التواضع والفقر. وانصرف متأثرا جداً بما شاهده، وأصبح له صديقا وأكثر من معاشرته لأجل المنفعة، فإنه كان رجلا عظيم الفطنة والتمييز، يعبق برائحة الروح القدس الذكيّة.

**ث**

**الأنبا ثاودوتُس**

قال الأنبا ثاودوتُس: الامتناع عن الطعام إماتةٌ لجسد الراهب. فقال شيخ آخر: بل السهر أشدّ إماتة.

**الأنبا ثاودُورُس الإنّاتونيّ**

١ -روي أن الأنبا ثاودورس والأنبا لوقيوس، وكلاهما من الإنّاتون، ظلاّ طوال خمسين سنه يخادعان أفكارهما فيقولان: ما إن ينقضي هذا الشتاء، نرحل من هنا. ومتى جاء الصيف يقولان: ما إن ينقضي هذا الصيف، نرحل من هنا. وهكذا كانا يمضيان أوقاتهما. فعلينا أن نحفظ دوماً ذكر الآباء أمثالهما.

٢ - كان الأنبا ثاودورس الإناتوني يقول : لو أخذ الله بالاعتبار تقصيرنا في الصلاة وعدم أمانتنا إبّانَ ترتيل المزامير، لما قُبِّض لنا الخلاص.

**الأنبا ثاودُورُس الفِرميّ**

١ - حصل الأنبا ثاودورس الفرمي على ثلاثة كتب جميلة، فأتى إلى الأنبا مقار وقال له: لدي ثلاثة كتب أجني منها نفعا، والإخوة كذلك يستعملونها فتجديهم نفعا. فقل لي ما ينبغي أن أفعله: هل أحفظها لفائدتي وفائدة إخوتي، أم أبيعها وأوزع المال على الفقراء؟ فأجابه الشيخ

بهذا الكلام: أعمالك صالحة، ولكنّ الفقر أسمى من كل شيء. فلمّا سمع ذلك، ذهب وباع كتبه وأعطى الفقراء المال.

٢ - كان أحد الإخوة، ممن يسكنون القلايات، يعاني اضطراب النفس في خلوته. فقصد الأنبا ثاودورس الفرمي وأخبره بحاله، فقال له الشيخ :اذهب واجعل أفكارك تتواضع، وكن خاضعا، وامكث مع أناس آخرين. فعاد بعد ذلك عند الشيخ وقال له: لم أ جد الراحة ولا مع

الآخرين. فقال له الشيخ: إن كنت لا تجد الراحة لا بمفردك ولا مع الآخرين، فلماذا جئت وترهّبت؟ أليس لتتحمّل المحن؟ قال لي: كم مضى عليك من السنين منذ ارتديت الثوب الرهباني؟ أجاب: ثمانٍ. فقال له الشيخ: الحق يقال، لقد ارتديت الثوب منذ سبعين سنة ولم أجد الراحة يوماً واحداً، وأنت تريد أن تنال الراحة في ثمانية أعوام؟ فلما سمع الأخ

هذا الكلام انصرف مثبَّتَ العزيمة.

٣ - وقال أيضاً: إن كان لك صديق يَحدث له أن يقع في تجربة الزنى، فمد له يدك إن استطعت وأخرجه منها. أما إن وقع في الهرطقة ولا تستطيع إقناعه بالإقلاع عنها، فابتعد عنه سريعاً خشية أن تتأخر فتنجرف معه إلى الهاوية.

٤ - قيل عن الأنبا ثاودورس الفرمي إنّ الأمور الثلاثة التي كان يعدّها أساسيه ويوليها الأفضليّة على ما خلاها هي : الفقر ، والتقشف ، والهروب من الناس.

٥ - جاء يوماً أحد الإخوة عند الأنبا ثاودورس وشرع يتكلم ويناقش في أمور لم يطبِّقها قّط حتّى يومه ذاك. فقال له الشيخ: إنك لم تجد حتّى الساعة مركباً، ولم تَنقل إليه حمولتك، وقبلَ أن تمخر بك السفينة عباب البحر نراك قد بلغت المدينة! فتمّم أوّلاً الأعمال، ثم انتقل إلى الخطب التي تُطلقها الآن.

٦ - ذهب ثاودورس في أحد الأيام عند الأنبا يوحنا، وكان خصياً منذ ولادته، وفى أثناء الحديث قال له: لما كنت في الإسقيط كنت أعمال الروح عقلنا وكنا نحسب العمل اليدوي ثانوياً. أمّا الآن فأصبح عمل الروح ثانوياً والثانوي العمل الأساسي.

٧ - وسأله أحد الإخوة قال: ما هو عمل الروح هذا الذي نحسبه اليوم ثانوي، وما هو هذا الثانوي الذ ي نراه اليوم العمل الأساسي؟ فقال له الشيخ: كل ما نفعله بسبب وصيّة من وصايا الله، فهو عمل الروح. ولكن العمل والتكديس لسهب شخصّي، فهذا ما ينبغي أن نعدّه ثانوي. وقال له الأخ: اشرح لي هذه المقولة. فقال الشيخ: هب أنّكَ سمعت بأني مريض وعليك أن تعودني، فتساءل: هل علّي أن أترك عملي وأذهب الآن؟ بل سأنهي عملي وسأذهب بعد ذلك. إلا أن

هناك انشغالاً آخر يطرأ عليك وقد لا تذهب أبداً. أو ثمة أخ آخر يقول لك: ساعدني يا أخي، فتقول: هل أترك عملي وأذهب لأعمل معه؟ فإن لم تذهب،

تُهمل وصية الله، التي هي عمل الروح، وتعمل ما هو ثانوي، وهو عمل اليدين.

٨ - وقال أيضاً: كثيرون، في هذا الجيل، يأخذون قسطهم من الراحة قبل أن يعطيهم الله إيّاه.

٩ - وسألوا الأنبا ثاودورس: إن أتت فاجعة على حين غرة، هل تخاف أيها الأنبا؟ فأجاب الشيخ: لئن هبطت السماء على الأرض لن يخاف ثاودورس. ذلك بأنه تضرّع إلى الله لكي ينزع منه الخوف ، ولهذا السبب سألوه.

١٠ - وروي في شأنه أنه، لما صار شماساً في الإسقيط، كان يرفض وظيفة الشمامسة

ويهرب الى أماكن شتى ٠ وفي كلّ مرة كان الشيوخ يعيدونه إلى الإسقيط ويقولون له: لا تتخلَّ عن الشمّاسيّة. أمّا هو فيقول: دعوني أضرع إلى الله لكي يؤكد لي أنه ينبغي لي أن أتبوّأ مكاني في الخدمة الطقسية. وتضرع إلى الله قال: إن كانت إرادتك أن أقوم في هذ ا

المكان، فأكّدها لي. عندئذ ظهر له عمود نار ممتد من الأرض حتى السماء، وسمع صوتاً يقول له: إن كنت تستطيع أن تكون مثل هذا العمود، فاذهب وصر شماسا. ولدى سماعه هذا الكلام قرر أنه لن يقبل أبدا. ولما جاء إلى الكنيسة، جثا الإخوة أمامه وقالوا له: إن كنت لا تريد أن تصبح شماساً، فأقله أمسك الكأس. ولكنه رفض وقال: إن كنتم لا تتركوني، سأرحل من هذا المكان. لذا دَعوه وشأنه.

**ثاوفِيلُس رئيس الأساقفة**

١ - في ذات يوم جاء ثاوفِيلُس رئيس الأساقفة الطوباوي إلى جبل النطرون، وأقبل إليه الأنبا القاطن في الجبل. فقال له رئيس الأساقفة: يا أبتِ، أ يَّ مزيد تجد في هذا الطريق الذي تتبعه؟ فقال له الشيخ: كوّني أشتكي على ذاتي وأوبّخ نفسي بلا انقطاع. فقال له ا لأنبا ثاوفِيلُس: ما من طريقٍ سواه.

٢ - وجاء الأنبا ثاوفيلس عينه في أحد الأيام إلى الإسقيط. فقال الإخوة المجتمعون للأنبا بامبو: قُل للبابا كلمةً تدفع إلى البنيان. فقال الشيخ: إن لم يجد مدعاة للبنيان في صمتي، فلن يجد ما يدعو الى البنيان في كلامي.

٣ - ومّما أخبر عن الأنبا ثاوفيلس رئيس الأساقفة، أنه لما أشرف على الموت قال : طوبى لك ، يا أنبا أرسانيوس ، لأنك طالما تذكرت هذه الساعة.

**ا لأنبا ثاوُونا**

قال الأنبا ثاوونا: إنما نصبح عبيد شهواتنا الجسدية لأننا نُشيح بفكرنا عن التأمُل في الله. وأخبرنا أحد الشيوخ أن الأنبا ثاوونا قال أيضاً: أريد أن أملأ فكري بالله.

**ا لأنبا غريغوريوس اللاهوتي**

قال الأنبا غريغوريوس: إليكم الأمور الثلاثة التي يطلبها الله في كلّ معمَّد: من قلبه الإيمانُ المستقيم، من لسانه الحقيقة، من جسده الاعتدال.